يوميات مربٍّ

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - وطى المصيطبة - شارع حبيب ابي شهلا - مبنى المسكن
هاتف: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ فاكس: ٨١٨٦١٥ - ص.ب.: ١١٧٤٦٠ بيروت - لبنان

Al-Resalah
Publishing House
BEIRUT/LEBANON-TELEFAX: 815112-319039-818615 - P.O.BOX: 117460
Web Location: *Http://www.resalah.com* - E-mail: *resalah@resalah.com*

obeikandl.com

يوميات مربٍّ

بقلم

بدر محمد عيد الحسين

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا نمطٌ طريفٌ من الكتابة يجمعُ بين روح السَّرد وروحِ المذكَّرات أو اليوميَّات.وهو يعالجُ قضايا اجتماعيةً وتربويَّة وتعليميَّة مما يعيشُه أبناؤنا الطلبة في مجتمعهمِ المدرسيّ، ومما يعيشونه في حيَواتهم العامة.

دوَّنها قلمُ راصدٍ متميِّز، أوتي حساسيةَ الأديب، ورهافة الفنَّان، وصدر المربِّي الحنون الذي يشبهُ صدرَ الأب والأم الرؤومين.

ومن ثَمَّ اتَّسمَ هذا اللَّون من الكتابة ـ من جملة ما اتَّسم به ـ بالواقعية والصدق، وهما من ملامحِ كلِّ عملٍ ناجح.

إنَّ التجاربَ والمشاهداتِ التي يقدِّمها هذا المربِّي الأديبُ عاشَها بنفسه،رآها ولم يُحدَّث عنها، بعينٍ نفَّاذة قادرة على الرَّصد والتَّحليل ،ثمّ دوَّنها في هذه اللوحات الأدبية.

وهذه اليوميات ليست غنيَّةً من الناحية الفنِّية فحسب، فهي غنيةٌ كذلك بالمضمون الهادف النبيل، إنها ثرَّة بمعلومات:

- عن البيئات الاجتماعية العربية التي درَّس فيها المربي.
- عن قضايا تربوية واجتماعية وثقافية.
- عن جوانب نفسية هامة.
- عن مشكلات تعليمية وتربوية.
- عن ضُروبٍ من الخلل في بعض العلاقات الاجتماعية الأسرية وغيرها.ولكنها ـ زيادة على هذا كله- تصوِّرُ عالم الصغار بما يسكنُ فيه من البراءة والصَّفاء،ومن العفْوية والطُّهر، وبما يشتجرُ فيه من خصوماتٍ ومشاكسات، ومن أهواء ورغبات، ومن فرحٍ وبكاء، وكدرٍ وصفاء يقترنان معاً على نحو عجيب، وفي وقت واحد، عاكسين عفْويَّة عالم الصغار وتلقائيته وبراءته على نحوٍ يُذكِّرُنا قول الشاعر عمر بهاء الأميري رحمه الله- متحدِّثاً عن أطفاله عندما ارتحلوا وتركوهُ وحيداً:

أيـن التبـاكي والتضـاحكُ فـي وقـتٍ معـاً، والحـزنُ والطـربُ ؟

إنَّ هذه اليومياتِ تُصوِّرُ - في مختصرٍ من القول - فضاءً مكانياً هلماً بكل جمالياته السرديَّة، وهو «المدرسة» التي لا يدري قليلٌ أو كثيرٌ من أولياء أمور الطلبة بما يدورُ فيها،أو يجري في سراديبها.

إنها تجاربُ ممتعةٌ هادفة إن قرأها أبٌ أو أمٌ تفتَّحت أمامهما - من عالم الأطفال - أبوابٌ ربما كانت مغلَّقة أو مُوارَبة على الأقل.

وراصدُ هذه اليوميات الماهر مشرفٌ تربوي مدرَّب، ومدرسٌ خبير متمرِّس، يدوِّنُ مشاهداتٍ رآها بأمِّ عينِه، بل عاشَها لحظةً لحظةً، بل هو بطلٌ فيها، ساردٌ مشارك - من الداخل - في الأحداث، وليس سارداً خارجيّا يتفرَّجُ ويرصدُ فحسْب.

لا أكتمُ إعجابي بهذه اللَّوحات الاجتماعيَّة التربويَّة الإنسانية القصصية، التي اختار كاتبُها الأديب الأستاذ بدر محمد عيد الحسين لها عنوان « يوميات مُربٍّ» وهي تسميةٌ موفَّقة.

ولا يُخالجني شكٌّ أنَّ أولياءَ أمور الطلبة، والأساتذة، والمربين، والمعنيين بالشأن التعليمي عامة، سيجدون فيها مادةً غنيةً تدلُّهم على جُزئيَّات من أمور ربما كانت غائبةً عنهم، بل تدلُّهم - وما أبرز ذلك وأروعه في هذه اليوميات ! - على كثير من اللَّمسات الإنسانية النبيلة التي ينبغي التعامل بها مع هذه الورود الناضرة الواعدة بالشذا والعبير، وهي أقمارُ الغدِ وشموس النهار القادم.

أتمنى لكاتبها الأديب الشاب الموهوب « بدر محمد عيد الحسين» الذي أفصح - فيما كتبه - لا عن قلمِ فنانٍ فحسب، بل عن إنسان نبيل، ومربٍّ فاضل، رحبِ الصدر، موفور الخبرة.

أتمنى له كلَّ توفيق وسداد فيما يستقبل من أمور دينه ودنياه..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بقلم: د. وليد قصّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله رب العالمين وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التَّسليم على معلِّم الناس الخيرَ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخي المعلم، أختي المعلمة: يا بناةَ الأجيال ويا حملةَ مشاعل الضياء، يا رسُل الفكرِ وحماةَ الأوطان، اسمحوا لي أن أقفَ لحظاتٍ أمامَ عظمةِ رسالتكم وجلالِ مِهنتكم، أنعِمْ بها من رسالة. إنها رسالة الأنبياء، وديدن الرسل ودأب الحكماء. إنَّ الزَّهر ليضوع، وشذا العبير ليفوح إذا ما طَفِقَ المعلم ينثُرُ دُررَ المعرفة، ويغرسُ بُذورَ القيم في نفوس النَّشء لبناء جيل متين العلم، رفيع الخلق، عالي الحكمة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة:٢٦٩]

إن الرسالة التي أنيطَت بالمعلمين لهي رسالةٌ عظيمة، وأمانةٌ جسيمة، تحمل في طيَّاتها مقاصدَ الأمة السامية التي تنهلُ من معين الإسلام الصافي، وتعاليمه السمحة، وهدي النبي المعلم محمد ﷺ . وهي أشبهُ بالنُّجوم التي تضيءُ الطريق أمامَ فتيان الأمة وأطفالها لِيحملوا رايةَ الفضيلة والخير عالية خفَّاقة تنشرُ عَرْفها ورُواءَها في أرجاء المعمورة.

إنَّ غُرفةَ الصَّف التي أنت سيِّدُها مَصنعُ الرجال، ومِنْبر العلماء، ومختبر الباحثين .وإنَّ الخطوة الأولى في نجاحك هي أن تفترَّ مبتسماً لِتنشُرَ الأمان في نفوس المتعلمين، وحفنةٌ من الحنان تُسْكِنُها راحتيك تَمسحُ بها على رؤوسهم، وكأسٌ من رحيق العلم تَسكُبُه في أفئدة تلاميذك، فأنت من يؤُصِّلُ حبَّ الخالق في النفوس، ويُذْكي جذوة العلم فيها، وأنت من يَشحذُ هممهم،ويصنع الآمال، ويرسم طموحات الأبناء النبيلة.إنَّ كلمةَ شكرٍ تبوحُ بها شفتاك كفيلةٌ بتأجيج الطموح و الإبداع في ذواتهم، كما أن كلمة طيبة تَجبرُ خاطِرَ طالبٍ يتيم أو مبتلىً أو مقصِّر تُحفَظُ لك في نفس هذا الطالب شجرة

وارفة يسقيها من ماء قلبه كلَّما حضرَ ذكرُك. أنت أيها المربّي تودَعُ بين يديك أغلى الأمانات، وأعزُّ الأصحاب، إنهم فِلْذات الأكباد يتركهم ذووهم بين يديك راجين أن تعودَ لهم غراسُهم مخضرَّةً زاهيةً، وقد تروَّت من غدران فكرك،وبحر علمك، وصدى وقارك.

إن مسؤوليتكم لكبيرة كبيرة، فأنتم محطُّ الأنظار وومضة الأمل في تحقيق التقدُّم الحضاري والعلمي لمواكبة الأمم التي تفاجئ العالم في كل يوم بجديد من المبتكرات والاكتشافات.

فامضُوا على بركة الله، وحثُّوا الخطا وضاعِفُوا الجهود، ولا ترجعوا القَهْقرى، فَبهِمَّة رجلٍ تحيا أمة وبِصدق دعوة تُكشَف غُمة.

وفقكم الله وأخذ بأيديكم نحو تحقيق الأماني التي تداعب أخيلة المجتمع بأسره. إنَّنا نعلِّقُ عليكم الآمال الكبيرة في نهضة أخلاقية علمية إنسانية تسمو بالمجتمع وتقود قاربهَ نحو شاطئ الأمن و ذرا المجد المُؤَمَّل إن شاء الله.

المؤلف:

بدر محمد عيد الحسين

معرة النعمان / الغدفة ١/٧/٢٠٠٦م

badrhussain@hotmail.com

إهــداء

إلى يَنبُوع الحنان المتدفِّق.

إلى حضن الأمان الدافئ.

إلى الشجرة التي ظلَّلتني بأغصانها،

وأطعمَتني من ثمارها،

وسقَتني من نُسوغها رحيقَ المبادئ

وشهدَ القيم.

إلى اللَّهفة الصادقة،

والفِطرة النَّقيَّة

إلى واحة الصَّبر النبيل

التي تتكلَّلُ بالعطاء،

وتتزيَّنُ بالتَّضحية،

وتنشرُ من ورودها وأزهارها الجريحة

شذا العبير لتؤنسَ الأحبَّة.

إلى الغالية والحبيبة «أمي»

أهدي هذا الكتاب.

ابنك: بدر

obeikandi.com

obeikandl.com

«الوحدةُ واليُتم»

لم يكد يمرُّ على قرع جرسِ الحصَّة الأولى أكثرُ من رُبع ساعةٍ حتى راحَت جُدران المَمرِّ الضيِّقِ تُردِّدُ صَدى صوتِ أحَد معلمي الصفّ الثاني الابتدائي، وهو يمسك بيدِ خالدٍ بقوة، ويصرُخُ عليه بِحنَق، وهو يثور ويمُور، وبَدأ يسحَبُ الطالب بشدَّة ليرغمَهُ على الدُّخولِ إلى مكتبي، وخالدٌ يتمنَّع ويثبِّتُ رجليه في الأرض بكلِّ ما أوتي من قُوَّة، لقد نَجَحَ المعلم القوي بإرغام الطالب على الدخول إلى مكتبي وصَرَخَ المعلمُ بغيظٍ: هذا طالب!! هذا مصيبة...... أنا لم أعد أحتمل بقاءَه في الصف ...... إنَّهُ يُخرِّب علينا الدرس.

حسناً يا أستاذ... لا عليك .. هدِّئ من غضبك، أدركِ الطلابَ، ها هُم تَبِعوك جميعهم ولم أناقشْهُ في حينها كعادتي في امتصاصِ غَضَبِ الزُّمَلاء في مثل هذه المواقف.

وما إن مسحتُ على رأسِ خالدٍ أسائلهُ عما أحدثَه من إزعاجٍ لمعلمه وزملائه في الحصَّة منذ الصَّباح الباكر حتى أمالَ برأسه الثَّائرِ المُنهك وأودَعَه بين يديَّ، عندئذٍ جلستُ على الكرسي، واضعِاً رأسَه المثقل بإشارات الاستفهام التي لا يجدُ لها حلاً وبِأوارِ الجراح التي ألَّمت بفؤاده الغضِّ بين يَديَّ.

أحسستُ بِهِ حَمَلاً وديعاً، أو عُصفوراً اهتدى إلى العُشِّ بعد ضياعٍ طويل، نعم، لقد أحسَستُ في ذلك الوقت أن خالداً ألطفُ طِفلٍ عرفَته في حياتي، وعندما انتهى من احتساءِ جُرعة الحنان التي اعتادَ أن يرشِفَها من راحتيَّ، جلسَ وقد علَت ملامحَهُ علاماتُ الخجَل والنَّدَم، ثم قال بضيقٍ مَشوب بالحزن: أنا آسفٌ يا أستاذ، لكنَّ جميعَ المعلمين لا يحبُّونني، كلُّهم يكرهونني ما عداك وحالَ البكاءُ بينه وبين الكلام، أكملَ حديثَهُ المتقطِّع قائلاً: «لم يشترِ لي ألواناً كالتي عندَ ماهر مع أنَّه وعَدني أن يشتريها لي، وأنَّه عندما يعودُ في ساعةٍ متأخِّرة من الليل سيُعطيها لأمي كي تضعَها في حقيبتي.

لقد فتَّشتُ الحقيبةَ أكثر من عشر مرات- وَكُلِّي أملٌ في أن أجِدَ ضالَّتي لأُري زُملائي الألوان - لكنِّي لم أعثر على شيءٍ!!» .

لقد كَسَرَت قلبي هذه الكلماتُ البريئـة الصَّادِقـة ، وأحسسـتُ أنَّ هَـدمَ قَلعَـة أخَـفُّ وطئـاً مـن كَسـر فؤاده . قَدّمتُ له قطعةَ حلوى ، وزيّنتُ جبهتَه بالنجوم المتلألئة .وخرجَ خالدٌ مبتسماً . يحملُ بين يديه ورقـةً كُتِبَ عليها « الأسـتاذ الفـاضل تحيـة وبعـد : لا مـانع مـن دخـول الطـالب إلـى الفصـل ، تمَّ اتخـاذُ الـلازم ، للحديث بقيَّة في الفسحة الأولى» .

جاءَ المعلمُ وقد باشرني بعبارات النَّدم على عدم استيعابه لخـالد قـائلاً : والله إنـي لأسـتوعبهُ دائمـا لأنّه يتيم ، لكنه اليومَ لم يكن طبيعياً ، يفتحُ الحقيبة ، وينثرُ مـا فيها على الأرض ، فأنبِّهـهُ ، وقبل أن تسـتقرَّ حقيبتُه في الدُّرج لِمُدَّة ثانية يعاودُ فتحها ، ويفتِّشها ويُبعثِر ما فيها ، والمُشكلة أنَّ جميع زُملائـه قـد انشـغلوا بِه ، وانصرَفوا عن الدرس بِسَببه .

أخبرتُ المعلمَ عن السبب فهدأت حـالُه ، وتَأثَّرَ أَشدَّ التّأثُر بمـا سمعه منّـي ، والتمـسَ لخـالد عذراً . وذكّرتُ المعلم بفضل رعاية الأيتام والإحسان إليهم فضلاً عن الرِّسالة العظيمة التي نَحملها -نحن المعلمين- في تَربية النَّشءِ على الصَّبر والتحمُّل والتماس الأعذار للآخرين .

خالدٌ – ذلك الطفل المجروح واليتيم الصَّغير- مات أبوهَ قبل أن يـذوقَ طعـمَ قبلتـه ودفء أبوَّتـه . وأمُّـه تزوجت بِرجُل يمنعُها من مشاهدته إلا في العيدين . هو يعيشُ عند جدتـه وحيداً .

لكنَّ خالداً لم يُقِرَّ بوفاة أبيهِ أبداً فهو حَيٌّ في ذاكرته ، وكثيراً ما يُحَـدِّثُ زمـلاءَه عنـه ويقـول لهم : « أبي اشترى لي كذا ، وأخذني إلى الحديقة في إجـازة نهايـة الأسـبوع ، وسـافرتُ معـه فـي الصيف إلى دولة كذا ، أما أمُّهُ فميْتَةٌ في ذاكرته على الرغم من أنها لا تزال على قَيدِ الحياة . لقـد وجدَ خالدٌ البديلَ في قَلبِ جدتـه الرَّؤوم» .

وهكذا استمرت يوميّات خالدٍ معي زُهاءَ ثلاث سنوات أنـاصره وأنـافح عنـه ، وأمسـحُ علـى رأسه وكنتُ أتألَّم كثيراً لظروفه التي هي أكبر بكثير من أن يتحمَّل مرارتَها طفلٌ مثـلُ خـالد . وفـي العـام المنصرم كُنتُ قد اتصلتُ بالمدرسة التي نُقِلَ إليـها ، وحدثـتُ المرشـد الطلابـي عـن حالتـه ، ففاجأني بأنَّ جدَّة خالدٍ توفِّيَت ، وأنَّه يعيش الآن عند إحدى عمّاته التي لا تنجب .

الرياض / ١٤٢٠ هـ

خَمْشُ الهِرّة

دخلتُ المدرسةَ في الصباحِ الباكرِ كعادتي، وبينما كنتُ مُتَوجّهاً نحوَ مكتبي، إذا برَهطٍ من طلاب الصَّفِّ الأول يتدافعون، ويتسابقون، وقد ضاقَت صُدُورُهم ذَرعاً بأهَمِّ أخبارِ اليوم، تكلموا جميعاً في وقتٍ واحد، لم أفهم شَيئاً سوى كلمة "هِرَّة" بسببِ الجَلَبَةِ التي أحدَثتها وكالات أنبائهم المضطربة.

وصلتُ إلى المكتب وهم يشكِّلون دائرة حولي، بعضهم يكرِّرُ الخبر، والقسمُ الآخر يُقسم ويحلِفُ ظناً منه أنني لم أُصدِّق ما يقول، وهم يظنُّون أنَّني - لا محالَةَ - سَأتخذُ إجراءً تأديبياً بِحَقِّ الهِرَّة الشَّكِسة التي نالَت من بَشَرة محمد البيضاء، المُشْرَبَة بالحمرة، وَرُبَّما أمرتُ بإلقاء القَبض عليها، وحَبسها في المدرسة لِيَتمتَّعوا بَقِيَّة اليوم بمنظَر الهِرّة المُعاقَبة.

مع رنين جرس الاصطفاف الصَّباحي تَفرَّقَ الرَّهطُ بالطريقة نفسها التي اجتمعوا بها. لم يَمضِ وقتٌ طويلٌ حتى وَقعَت عيناي عليه، يا إلهي ! إنَّه يحُكُّ رأسه حكّاً شديداً، حتى لَيكادُ الدَّم يَتفجَّرُ من عُروقِ رأسه ليجريَ على صفحات زَنديهِ اللَّذيْن ظهرا كأوراق شقائق النعمان.

ناديْتُ محمداً واصطحبتُهُ معي إلى المكتب. ما بك يا بُنَيَّ ؟ لماذا تَحُكُّ رأسك لقد خمَشتني الهِرَّة ..... نعم الهِرَّة يا أستاذ. وهل خمَشَت رأسك أيضاً....؟ نعم يا أستاذ هرَّتُنا غَضوبٌ جداً وَقد آذَت أختي الصَّغيرة أيضاً. قُلتُ: حمداً لله على سلامتك، اذهب إلى صَفِّك، واحضُر إليَّ في الفسحة الأولى لأعطيَك علاجاً يخفف عنك الألم.قالَ:سَتعطيني مَرهماً أم شَراباً ؟ شُكراً لك يا أستاذ فأنا عندي عِلاج في المنزل.

استَغربتُ حقاً من وجود عِلاج يَشفي من خَمشِ القِطط. وعندما اتصلت بأبي محمدٍ و حدَّثته عن هذا المَرض، قاطعني قائلاً : « يا أستاذ ليس عندنا في المنزل هرّة ولا غيرها من الحيوانات،محمدٌ عنده فرطُ تَحسُّسٍ جلدي، لقد كان يعاني هذا المرض مذ كان في سِنيِّه الأولى . لكنَّه في المساء كان قلقاً من ردود أفعال زملائه ومعلميه في الفصل على شِدَّةِ حَكّهِ الذي لا يملك له ردّاً ولا دفعاً، وقال: إنه يخاف أن يقولوا له :جربان..

من أجل ذلك قَرَّر محمد على عجلةٍ من أمره - وربما في الليلة التي لم تغمُض عيناهُ فيها- أن يُكملَ جميعَ فصول المسرحيّة التي نسجَها بخيوط إحساسه المرهف، وخَيال طفولته البريئة.

ومع رنين جرس الفسحة الأولى حضر محمد، فأجلَستُه، وقلتُ له: يا بني أنتَ طالبٌ مجدٌ وذكي والطالب الذكي ينبغي أن يكون شجاعاً فكنت أتمنى منك أن تخبرني بالتحسُّس الجلدي الذي تعاني منه،وهذا ليس مَعيباً، فالتحسس شأنه شأنُ الزكام الذي أعاني منه أنا اليوم، ومع ذلك لا أتحرَّج منه. فنحن في المدرسة أشبه بالأسرة، فينبغي أن نواجه مشكلاتنا بجرأة ووضوح،والصراحة مزية طيبة،فهل تعاهدني يابني على أن تكون صريحاً وواضحاً ؟ فقال: أعاهدك يا أستاذ.

خرج محمدٌ وقد تأثَّرَ بسبب الرواية الموضوعة التي نقَلها إلينا، ولكنه تزوَّد بقيمة عظيمة من جرَّاء هذا الموقف خبأها في نفسه ديدناً ومبدأً، ورحم الله قائل المثل العربي « ربَّ ضارة نافعة» .

الرياض ١٤٢١ هـ

badrhussain@hotmail.com

التعليم عن بُعْد

لم تكُن حرارةُ شمس أول يومٍ من أيام العام الدراسي ١٤٢٠ هـ أكثر دفئاً من حرارة قلبي وأنا أتقلَّدُ وسام منصبٍ طالما حلُمتُ به - مُشرف المرحلة الأوليّة - وهاأنذا أُحقّقُ ما حلُمت به، وبصورةٍ مبكرة جداً إذ إنني لا أزال أصغر المعلمين سناً وأقلَّهم خبرةً . بينما أنا على هذه الحال من السعادة الغامرة عكَّر أبو ناصر استرسالي - وأنا أستقبل أولياء أمور طلاب الصفِّ الأول الابتدائي وأعيشُ معهم أمتَعَ اللحظات - عندما فاجأني بقوله : « ما الجديدُ الذي ستقدِّمه لطلاب الصف الأول ؟ وما هي خطَّتك لهذا العام ؟ لقد أنقذني بياني اللغوي الذي يُسعِفني في مواقفَ كهذه بعض الشيء . أيَّةُ خطط ؟ وأي برنامج ؟ وأنا ليس في جَعْبَتي سوى دفء في راحتَيَّ أمسح به على رؤوس الأطفال، وجدولٍ من الحنان في قلبي أروي منه ظمأهم . وَبعضِ الأناشيد التي يُحبُّونها في اللغتين العربية والإنجليزية.

وزاد في الطُّنبور نغماً قوله:إنَّ مدرستنا هي المدرسة الثالثةَ عشرةَ التي يأتيها ضمن حملته الاستكشافية من أجل اختيار المدرسة المثلى لولده ناصر». فقلتُ في نفسي: لا يمكن أن نحظى بالفوز في هذا الرِّهان الخاسر فأين نحن من المدارس العريقة ذات المباني الفارهة والردهَات الواسعة ونحن نقبَعُ في مبانٍ مُستَأجرة ومرافق متواضعة جداً ؟

عادَ أبو ناصر في اليوم الثاني وجلس مع المشرف العام جلسةً طالت دقائقها حتى لامست قلبه لأن المشرف العام يُعرَف بدماثة الخلق، وقُوة الحجة في اليوم الأول من بداية الدراسة الفعلية أطلَّ ناصر المهذَّب وما إن رآني حتى بادرني بالسَّلام كأنَّهُ يعرفُني منذ أمَدٍ بعيد. وسلَّم على معلميه بالطريقة نفسها التي سلم فيها عليَّ. ولم يُفاجأ أيضاً بجمود الأبجدية وثِقل أُتُونها، ولكنه على النقيض دخلَ خميلَتها وداعب بلابلها، فصفَّقَت له وتمايلت أغصانُها طربا وفرحاً وأنشدا معاً أنشودة النجاح.

ناصر طالب مُجدٌّ في دروسه، ومهذب مع الأقران، ولبِقٌ مع معلميه، ابتسامتُهُ لا تُغادرُ شفتيه البتَّة. وكثيراً ما يحظى بالجوائز القيِّمة وعبارات الرضا مِن كل مَن في

المدرسة وهكذا انتهى العام الدراسي ليغنّي الصيف لناصر أنشودةَ المتعة، وأغنية السَّفر.

سافرت الأسرةُ جميعها إلى سورية ليتمتعوا بطبيعتها السَّاحرة، وهواء الشَّام العليل، ومائه السلسبيل. مرّت الأيام الأولى من الإجازة سعيدةً، واستمرت كذلك، إلا أنَّ شكوى ناصر المستمرَّة من الألم الذي لم يعُد يُطيقه قد عكَّر الصفو، وجَعل طبيعةَ الرِّحلة تتوشَّحُ بالحُزن والألم ، ولكنَّ المسلم عليه أن يحمد الله الذي لا يُحمد على مكروه سواه .وبدأت رحلةُ الابتلاء والألم تبحثُ عن شاطئٍ آمنٍ يخفِّفُ الوجعَ الذي يُقِضُّ مَضجعَ ناصر، ويؤرِّق عينيه. وكانت المفاجأة الكبرى عندما تجاوزَ المرضُ حدودَ التهابِ اللَّوزتين وصداعِ الرأس وألمِ المفاصل ليصلَ إلى نِقْي العظم. وأية مقاومة تلك التي يمتلكُها الجهازُ العظمي عند ناصر حتى يصمدَ بوجه أعتى فيروسات العظام ؟ قدَّر الله لناصر أن يُمضي ما تبقّى من أول عطلة صيفية طالما حلُمَ بها- بعد أن ألقى الحقيبة الثقيلة عن منكبيه، وبعد أن نفضَ غبارَ الطباشير عن أناملِه الرقيقة في عيادات الأطباء وفي ظلمة المختبرات وقلق نتائج التحاليل.

بدأ العامُ الدراسي الجديد حاملاً الفرحَ والبشائرَ، وقد اشتاقت شمسُه لتعانقَ ابتساماتِ الأطفال، واشتاقت دروبُه لوقْعِ خطاهم البريئة، واشتاقت فراشاتُه لتداعبَ براءتهم. حضرَ الجميعُ وبات الصبية يتفقدُّون زملاءَهم الغائبين بكل شَغف واهتمام، والسعادة تتداحُ فتملأ عيونهم. حضر جميعُ طلاب الصف الثاني الابتدائي إلا ناصراً.

في صباح اليوم الثاني حضر أبو ناصر وعبرتُه تغمُر كلماتِه وقد أخبرني بما حدث، واتَّفقنا على إعطاء ولده المنهجَ يدرسُه في البيت وفْقَ الخطَّة المدرسية،وبدأ ناصرٌ يدرسُ عن بُعْد ولأوَّل مرَّة يحدثُ ذلك في تاريخ التعليم، أنّ طالباً في الصف الثاني الابتدائي يدرس عن بُعْد.

انتهى الفصل الدراسي الأول وناصرٌ يعيشُ بكلِّ أحاسيسه ومشاعره مع زملاء فصله فهو يَتخيَّلُ الاصطفاف الصباحي، ودخول الطلاب إلى الفصل، ويعرفُ مواعيد الفُسح، ومواعيد الانصراف، وموعدَ حصّة التربية البدنية، وحصة الحاسب الآلي.

واغرورقت عيناي بالدمع عندما قال لي أبو ناصر عبارة لا أنساها: « ولدي ناصر

يعيشُ معكم بأدقِّ تفاصيل يومكم الدراسي ». بدأ الفصلُ الدراسي الثاني، وجاء ناصرٌ المشتاق ليكحِّلَ ناظريه بوجوه زملائه التي هي أجمل بكثير من المصايف التي رآها في سورية والتي هي أروع من وجه القمر.

عندما دخلَ إلى المدرسة دخلت معه العَبَرات والدَمَعات، وغطَّت سماءَ مدرسة العليا الأهلية سحابةٌ من التوجع والألم، وما هي إلا لحظات حتى وجدتَ زملاءَ ناصرٍ وقد داهموه يسلِّمون وينظرون إليه ويُجيلونَ الطَّرْفَ في ملامح وجهه التي غابت عنهم أكثر مما ينبغي.

والشيء الذي كان يخفِّفُ من واقع الحال تماثلُه للشفاء. انتهى العام الدراسي ونجحَ ناصرٌ إلى الصف الثالث لتنتقلَ مباني المدرسة إلى حيٍّ جديد وتلبَسَ حُلَّة جميلة حديثة. والذي حصل أنَّ فصلَ ناصرٍ كان في الدور الثاني وهذا ما يعوقُ تسارُعَ شفائه ولاسيما صعود الأدراج الذي قد يؤدي إلى التَّدافع والصِّدام. لأجل ناصر وتقديراً لحالته فقد تقرر أن يكون فصله في الدور الأول.

شُفي ناصر، وعادت الابتسامة البريئة إلى شفتي الطالب المجد، وغسَلت الأسرةُ بدموع الصَّبر، وطُهر الاحتساب سحابةَ الحُزن التي حَجبت النُّور لفترة طويلة عن شُبَّاك الطفل الصغير ناصر. وأما عن آخر أخباره فهو من الأوائل على صفِّه، وقبل شهر من كتابة هذه الحادثة كنتُ قد سلَّمته كأس الطالب المثالي على مستوى المدرسة.

هذه هي قصَّةُ الطالب ناصر، فحمداً لله على سلامته، متمنين السلامة ودوام العافية لكلِّ أطفال العالم. والآن من يسلِّم الكأس للأبوين المثاليين اللذين تعاملا مع ما حصل لولدهما بصبر جميل.؟ ومن يُقدِّم أكاليل الورود لإخوته الذين ساندوه وآزروه بقلوب مليئة بالحنان والأخوَّة ؟

الرياض / ١٤٢٢هـ

obeikandl.com

الثؤلول المخرج

كان النُّزول من عُشِّ الدَّلالِ، ودفء الحضن، ونوم الضُّحى، وقيادة الألعاب والتَّحكُّم بها أمراً صعباً .إذ إنَّ فكرة التَّنازل بحدِّ ذاتها كفيلةٌ برسم ملامح الكآبة على وجه سعود، فماذا سيتبَعُ التَّنازل ؟ إنَّهُ القادمِ الصَّعب الذي يُؤرِّق عينَيه، ويحولُ بينه وبين ابتساماته المعهُودة ونشاطه المتميز وأنْسه المُحبَّب.

لم تدَّخر أمُّ سعود جهداً وهي المعلمة الناجحة في سبيل ترويض أفكار ولدها بمحاولة جادَّة للتَّقريب بين هذا المدَلَّل وبين عالم المدرسة، والمسؤولية، والاستيقاظ المبكِّر، وكُنت أطمئنها بأنَّ اعتصامهَ بسارية المدرسة لن يدومَ أكثر من أسبوعين، لأنَّ جذوةَ الفطرة السليمة لابد أن تتّقدَ في ذاته وهو يرى زملاءَه يعيشون حياةً سعيدة. على الرغم من حالتي التريُّص والحذر اللتين تكبِّلان انطلاقةَ أجنحتهم، وتضعان حدوداً لابتساماتهم المعهودة. ولا ريب أنَّ فرح زملائه الواضح، وهم يخرجون إلى الملعب، وإلى غُرفة الحاسب الآلي، سيقَرِّب الهوَّة بَعض الشيء، ويجعل روح الزَّمالة، وحبَّ اللعب تدفعانه شيئاً فشيئاً للانخراط مع المجموعة.

كانت غرفة الصفِّ - التي من المفترض أن يكونَ سعود أحد طُلاَّبها - مُقابِلة تماما لمكتبي، إذ كنت أراه من خلال النافذة الزُّجاجية، وكلَّما مررتُ قريباً منه قلت مبتسماً: كيف حالك .... ؟ ما أخبارك. ؟ متى قرَّرت الدخول إلى الصف؟ يقول: غداً فأقول، تمتَّع غداً، وتودَّع من حراسة الباب، وادخل في اليوم الذي يليه ما رأيك ؟ يقول مبتسماً ؟ طيب .

كان سعود يمَلُّ من الوقوف الطَّويل لكنَّــه على الأقل أفضلُ مما يجري في داخل القفص مع الأرانب المذعورة.

فكان غيرَ مرَّة يُخرج الكرة من غرفة التربية البدنيَّة، ويلعبُ مع الجدار لُعبةَ القاذف والردَّاد - لقد ألِفَ سعود المدرسةَ فهو متفرِّغٌ بالكُلِّيَّة، يعرفُ جميعَ المرافق التعليمية، ومُختبَرَ العلوم، ومكتب الوكيل والمدير، فهو بمنزلة الدليل الجغرافي لزملائِهِ - طبعاً خارج حدودِ الصف الأول الابتدائي الذي ينبغي أن يكونَ فيه منذ أكثرَ من أسبوعين مضيا على بداية العام الدراسي.

ذات مرَّة اقتربتُ من سعود المُعتصم، وفي اللحظة التي رآني فيها لوَّن ببراعة فائقة ملامحَ وجهه وانتصاب قامتهِ، فألوى برقبته ووضعَ أصبعهُ في فمهِ وأسند بكتفيه عمودَ

الباب. سلّمتُ عليه، ومَددتُ يدي وبسطتُ راحة كفّها تُجاه يده لقد أخجلني، ولم يكتفِ بعدم الاستجابة، ولكنه خبَّأ يده اليمنى خلف ظهره. قلت في نفسي: هذا غريب جداً، فالطلاب يسعَدون جداً عندما يبتسمُ لهم مشرفُ المرحلة الأولية أو يوحي برضاه عنهم، فماذا عن رفض سعود ؟!!!

في اليوم التَّالي ناديتُه، وأخرجتُ قطعةَ حلوى من الدُّرج وقلت: افتح يدك يا سعود، ففتحَ يده مستجيباً بعفوية الأطفال وبراءة ردُود أفعالهم وإذا بيده قد امتلأت بأنواع الثَّآليل صغيرها وكبيرها. إنّ نظرة عينيَّ المتأنِّية إلى يده لفتَت نظره فأغلق قبضتَه على الحلوى وقد علَت وجهَه ملامحُ الخجل والإحراج.

لقد انكشف السرُّ العظيم الذي يحرصُ سعود على عدم إظهاره لأحد، في الفسحة الثانية ناديتُه، وبعد ملاطفةٍ قصيرة لانتزاع الابتسامة من شفتيه ولإشعاره بالأمان قلت: هل تعلم يا سعود أنني عندما كنت صغيراً كان في يدي بعض الثآليل ولكنها كانت عاديَّة بالنسبة لي. لقد تلاشت من يدي عندما نجحت إلى الصف الثاني. أرِنيها، لقد بسط كفَّه هذه المرّة بسرعة وكأن عُقداً كثيرة قد حُلَّت من نفسه.

ومع بداية أول يوم من أيام الأسبوع الثالث دخلَ سعود إلى الصف وكنتُ قد أخبرتُ معلمَه بالأمر ليتوخَّى الحِيطةَ والحذر. وكان المعلمُ على درايةٍ كبيرة بالتعامل مع طلاب الصف الأول، وكان قد تجاوز الخمسين من عمره. وفي الحصة الثانية التي دخلها سعود طواعيةً قال المعلمُ في نهايتها: لِيَأتِني كُلُّ طالبٍ لكي أرى أظافره قبل أن يخرجَ إلى الفسحة. وعندما جاء دور سعود قال له المعلم: ما شاء الله عندك ثؤلول . والثؤلول لا ينبت إلا في الأيدي الطيبة ، وأنا اليوم سأعطيك خمس هدايا، وسأرسم على دفترك خمسة نجوم.

لقد سُرَّ سعود من تصريحات المعلم التي رسمت لوحةً ربيعيَّةً زاهيةً في نفسه، و كشفت الغُمَّة عن قلبه. وهو الآن في الصف الخامس الابتدائي من أكثر الطلاب حرصاً على الدراسة وعلى التزام الدوام بالإضافة إلى حُسن أدبه ودماثة خُلقه.

الرياض / ١٤٢٢هـ

السبّورة الماكرة

واحةٌ من الحب، وبستانٌ من الفرح، وعقدٌ من الابتسامات.واقعٌ أشبهُ ما يكون بعُرس القرية. هذا يصفّق، وذاك يكتبُ، وآخرُ يُنشِد. هذه أبرزُ ملامح درس اللغةِ الإنجليزية الذي كنت أؤدّيه في المدرسة مع طلاب الصّف الثاني الابتدائي. لأن أذهانَ الأطفال كمظلاّت الطيارين لا تنفع إلا إذا فُتِحت . ولا يفتَح ذهنُ الطفل أبوابَه ويُشرِّع شبابيكه لاستقبال النور ما لم يحرِّض المعلمُ ثغورهم البريئة لتفترَّ عنها ابتساماتٌ مُغرِّدات، وما لم يُدغدغ كلَّ أقاحي المعرفة في روضة فكره لتفوحَ شذا وأريجاً تجعل الأطفال ينجذبون إليه بقلوبهم وأذهانهم.

كان بندرُ أميزَ الطلاب في المحادثة، وأفصحَهم نُطقاً. كان شُعلَةً من الذكاء والتوقُّد. وكان يفتحُ قلبه لدرس اللغة الإنجليزية كما تفتحُ الأم ذراعيها لولدها بعد غياب. وكان يُحبُّني كثيراً ، وكنتُ أُحبُّه من كُلِّ قلبي. واسألوا المعلمين المخلصين عن محبَّة طلابهم. فالدفتر لوحةٌ فنيةٌ ساحرة، والكتاب مزدانٌ بالملصقات الطفوليَّة الجميلة، وأوراق النشاط في مأمنٍ وسْط الملفِّ المتميِّز الذي يحميها من عوامل التعرية التي غالباً ما تتعرَّض لها هذه الأوراق في حقائب بعض التلاميذ.

عِقدُ الابتسامات يوشِكُ أن يكتمل، وبستانُ الفرح قد أرسَل أزرار الثّمر لأوراق الأشجار لتضبطَ أواخرَ الكلمات في قصيدة الربيع. ودائرة القمر لمّا تكتمل بعدُ. لأنّ صفحتَه الشفّافة كثيراً ما تخدع الناظرين من الأطفال، وبعضهم يتجرأُ فيمدّ يدهُ ليمسكَ به .

شيءٌ ما كان يعكِّر صفوَ بندر عندما كنت أطلبُ منه أن يقرأ الجملَ المكتوبةَ على السبُّورة . وكأنَّ دماءَ التألُّق تغيضُ في صفحاتِ وجنتيه، وتجرُّ الابتسامة ذُيول الفرح لِتَظهرَ الشفاه القُرمزية شاحبةً تعلوها الزُّرقةُ.وكان يطلبُ بإلحاح أن يقرأ الدرسَ من الكتاب على الرغم من جلوسه في المقعد الأول. ولم تنفع محاولاتي في تَحسين خَطِّي وتجميله إلى الحدِّ الذي يجعله واضحاً في عَيني بندر الناعستَين المُتعبتين.

بدأ القلق يعتريني، والشكُّ يساورُني عندما قرأ بندرُ جملاً منفيَّة وبدا واضحاً أنه قد استجمع كلَّ قدراته في سبيل حفظ الجمل المكتوبة عن ظهر قَلبٍ، وقد تكرَّر ذلك غيرَ مَرّة.

obeikandl.com

عندما طلبت منه أن يركِّز في أثناء القراءة من السبورة قال: يا أستاذ السبورة تخدع، عندئذٍ قلت في نفسي إنَّ بندرَ لا شك. يعاني من نقصٍ في النَّظر في إحدى عينيه.

كيف ذلك وأبوه طبيبٌ مُتميِّز في إحدى المستشفيات العريقة والرَّاقية في المدينة ؟ هل يُعقل أنَّ أباه لم يَخطر بباله أن يفحَص عيني ولده ؟

ولم تمضِ أيامٌ حتى هاتفتُ أبا بندر قائلاً: لقد لاحظتُ على ولدكَ ضعفاً في النَّظر أرجو أن تُبادر بفحص عينيه. قاطعني وليُّ الأمر قائلاً : أنا سآتيك إلى المدرسة . وعندما حضر أعلمتهُ بأمر ابنه. فاستأذن له قبل نهاية الدوام من ذلك اليوم، وذهب به إلى المستشفى وكان ذلك اليوم هو آخر أيام الأسبوع. وفي صباح يوم السَّبت رأيت بندر في الطابور. لا يلبس نظارة كما كنت متوقعاً وشعرتُ ببعض النَّدم على استدعائي لولي أمر الطالب ولتعجُّلي بإخباره.

وعندما عُدت إلى المكتب وإذا بأبي بندر ينتظرني، وقد أمسك بنظارة جديدة في يديه. قال يا أستاذ: إنَّ بندرَ رفض أن يلبَس النظارة بالكلِّية ظاناً أنَّ الأولاد في الصف سيقولون له: أعمى، وأبو عيون.الخ. . قلت: لا عليك أعطِني النظارةَ ولا تتأخر عن عملك فلا شكَّ أنَّ المرضى ينتظرونك. وقبل أن يهُمَّ بالقيام قال: لم أكن أتوقع أنّ ولدي سيعاني من نقصٍ في النظر دون أن أكتشفَه وأنا في كل يومٍ أعظُ المرضى، وأُنبههم وأذكِّرُهم بضرورة الانتباه لعوامل ضعف البصر عندهم وعند أبنائهم، فعلاً صدق المثل الذي يقول: « الإسكافُ حافٍ ».

معلِّمُ بندر (معلم الصف) ـ لحسن الحظ ـ يلبَس نظارة. فدخلتُ إلى الفصل وقُلت: باركوا لبندر حصوله على النظارة. إنها جميلة جداً ..أحضرها لهُ أبوه لأنه يقرأُ دروس اللغة الإنجليزية بطلاقة. إنها كنظارة المعلم التفتَ بندرُ إلى المعلم ينظر إلى نظارته وكأنَّه للمرَّة الأولى يلاحظ أنّ معلمه يرتدي نظارة. عندئذٍ هدأت حاله، وابتسم على استحياء، وألبستهُ النظارة، وصفَّق له الجميع.

وعندما جاءت حصَّة اللغة الإنجليزية قمتُ بكتابة بعض الجمل على السبورة. فقرأها بندرُ بطلاقة. ولاطفتهُ في نهاية الحصة قائلاً: هل لا تزالُ السبورة تخدعك ؟

قال لا يا أستاذ .لم تَعُد تخدعُني. ما رأيك يا بندر في النظارة ؟ قال : 'زينة ' أي رائعة. قُلت ما رأيك أن تخلعَها ؟ قال: لا يا أستاذ. لقد اعتدتُها. هاهي دائرةُ القمر اكتملت في ناظرَي بندر، وأزرارُ الزهر بَدت واضحة المعالم، والجمل المنفية أصبحت مقروءة. وهاهي السبورة الخادعة قد عادت إلى رُشدها وصوابها. وها هو ذا بندر الآن طالب في المرحلة المتوسطة يتصدَّر لوحة الشرف.

دمشق / ٢٠٠١ م

أطلَّ قمرُ العام الدراسي ١٤٢٢- ١٤٢٣ هـ ساطعاً بهياً بأيامه البيض المباركة ينشرُ الضِّياء على ربا نجدِ السُّمر. ويعانقُ شماريخَ النخيل، ويُناجي صمتَ الصحراء، ويُؤنسُ وحدة الهضاب. لم يكن سَعَف النخيل أكثر انسيابا وتموُّجاً من شعر مشعل المدلَّل، ولم تكن ريمُ الفلاة أخفَّ حركةً وأكثر رشاقةً منه وكانت ابتسامته تتجاوزُ ببراءتها وطُهرها مفهومَ الحدود والنهايات، وتُداعبُ بعَفْويَّتها قوامَ الفرح فيهتزُّ طرباً لها، ويتمايَلُ السُّرورُ بين يديها فيَفوحُ عِطرُ الطُّفولة من جَنبات الصف الأول الابتدائي ويعلو تغريدُ البلابل الصغيرة ليملأ المدى برَجع الهُتافِ الجميل.

وهو -عَلاوة على ماذُكر- لا يعطِي فرصةً لسيما الأدب، و الحياء المحبَّب أن تكسلا لحظةً واحدة فتهبطَ من المكانة السّامية التي ينبغي أن تكونَ فيها .فهو المؤدَّبُ والمجدُّ والمتعاونُ الذي يحبُّ جميعَ الناس على إطلاقِ العبارة.

ومع استكمال تساقط الأسنان اللبنيَّة وانبثاقِ الدائمة مكانها حزبهُ أمرٌ. أهو ملامحُ الصف الثاني الابتدائي المجهولة ؟ أم أنه المعلِّمَ الذي لا يبتسمُ إلا إذا حَبس الطلابُ أنفاسَهم بالكلية لمرآه، وأخرجوا الكتبَ والدفاتر، وامتشقُوا الأقلامَ والقراطيس، وأعلنُوا الجاهزيَّة القتالية ؟

لم أعثَر على جوابٍ لتساؤلي وكلَّما ظننتُ أنني قد اقتربتُ من معرفةِ السبب أتاني ما يُدحِضُ فكرتي ويبطِلها. ذات يومٍ استدعيت مشعلَ وبدأتُ أحاوره أملاً في أنْ أميطَ اللثام عن جانبٍ يقودُني لمعرفةِ سرِّ اكتئابه، ولكن دونَ جدوى.وفي مرّة ثانية حاولتُ أن أنتزعَ ابتسامةً منه، فابتسم ولكنَّهُ كان حريصاً على قمعها وهي في منتصف الطريق، كان أشبه بالحارس فكلما همَّت ابتسامةٌ بالافترار عن ثغره بادرَ لضبطها وإخراجها بالأسلوب الذي يناسبُه ويروقهُ.

في نهاية السنةِ الثالثة الابتدائية جاءني مشعلُ غاضباً وما كان ليريدَ ذلك لولا أن أحداً من زملائه قد ألَحَّ وبشكلٍ لا يطاق على تَقصدُّ إزعاجه. بدأ يتكلمُ بانسياب وعباراتُه الحانقة أنستهُ المحافظةَ على تنظيمِ حركةِ الحروفِ الشَّفوية والحلقيَّة، وهو في حالةٍ من الاسترسال

obeikandi.com

انكشفَ السرُّ الكبير الذي حافظ عليه مشعل طيلة ثلاثِ سنوات. وفي اللحظة التي أحسَّ فيها أنني لاحظت وجودَ سنين زائدتين عنده عادَ من جديدٍ يُنظِّمُ الحديث ويلُمُّ شتاتَ ما كان قد تفرَّق وتناثر من العبارات المتسرِّعة ولكن دون جدوى.

انتهى الموقفُ مع زميله في حينهِ بإظهارِ الأسف وأخذ المواثيق الغليظة على الزميل المخطئ بعدَم تَكرار ذلك. نعم لقد انتهت مشكلةُ مشعل ونسيَها. رأيتُه في اليوم الثَّاني منذ الصّباح الباكر يريحُ يده على كتفِ زميله المذكور على الرغم من العاصفة الشديدة التي حدثت لكليهما .إلا أن تحرُّجه من أسنانه الزائدة ظلَّ في ذهني يخزُنــي كَوَخز الدَّبوس. وفي يوم من أيام الفصل الدراسي نفسه قلتُ لمشعل: أريدكَ في المكتب. وعندما حضرَ قلت له بلطف شديد: أرني أسنانك ؟ إنها نظيفة . ما لهاتين السِّنين ؟ آه إنهما زائدتان ؟ أليس كذلك ؟ نعم يا أستاذ.

استجاب مشعل وحملَهُ على ذلك أدب رفيعٌ وتربيةٌ طيبة عُرِف بها وتمثَّلها دأباً وديدناً.

اصطحبتُه إلى طبيب الأسنان في المدرسة. وعندما رأى الطبيبُ أسنانَه الزائدة قال : يُفَضَّل أن تُنزَع هنا تدخَّل مشعل فالأمر لم يعُد يحتملُ التأخير ولربما ذهبَ تفكيرُ مشعل إلى أنَّنا سنجتثُّ سنَّيه في نفس الوقت. وقال: «هي تطيح بلحالها » أي تسقط وحدها دونما تدخُّل من أحد. قلتُ: حسناً يا مشعل . ولم يدرِ مشعل أنني أقصِد من ذلك أن أُزيلَ الحاجز النفسي بينه وبين ابتسامته التي غالباً ما يُجبرها على التوقف عند الحدود التي تختبئ عندها أسنانه الزائدة. وفي اليوم التالي ناديت مشعلاً وأريتهُ سِنّاً اصطناعيةً عندي وقلت له : أنا ما عندي مشكلة ولا أستحي منها أبداً لأن الإنسان يا بني يُقَوَّمُ بأخلاقهِ وجِدِّهِ واحترامهِ للآخرين.

وبعد هذه المناورات ما بيني وبين مشعل أحسستُ أنه قد ارتاحَ نفسيا، وراحَ يطلقُ جناحي ابتسامته للريح، وعادت الابتسامةُ المعهودةُ إلى الثَّغر الباسم، ولم يعُد يضع يدَه على فمه خشيةَ أن ينكشفَ السر العظيم. إن عودة الابتسامة إلى ثغر مشعل عادت معها أشياءُ كثيرة، إذ عاد معها تركيزٌ ذهنيٌّ بحجمها، ورغبةٌ في الدراسة تعدلِ مداها، وفرحٌ داخلي يفوقُ أفقَها. ارتاحَ مشعل وارتحتُ أنا أيضاً.

obeikandi.com

إنها سعادةٌ عظيمة غمرت فؤادي وكأسٌ من الفرح قد انسكبت في شراييني وربوة من الأريج فاحت في أرجاء نفسي وشعرتُ حينذاك أنني قريبٌ من الخالق ﷻ.

الرياض ٢٢/٣/١٤٢٦هـ

obeikandl.com

أشياءُ غيري تجذبُني

بدأ العامُ الدِّراسيُّ الجديد وسْط تساؤلاتِ الصِّبية الحائرة وإشارات الاستفهام المُقلقة وابتساماتهم التي تُخفي وراءَها بعضَ التوجُّس. تُرى كيفَ سيكونُ معلِّمنا؟ أ هو شديدٌ أم متسامح؟ أيَضربُ بالعصا أم يكتفي بالتنبيه والتوجيه ؟ ليتَه يكون متسامحاً يُعطي المقصِّر فرصةً ثانيةً أو ثالثةً، ما المشكلةُ في أن يملكَ المعلمُ حنان الأم ودفءَ الأب ورحمة الجدِّ ويروي حكايات الجدَّة ؟!

مَرَّ الأسبوع الأول بسلام وتَنَفَّسَ الحَذِرون الصُّعداء، وراحوا يُطلقون أرجلَهم للريح في ردهات المدرسة وفضاءاتها. مع بداية الأسبوع الثاني كان كلُّ واحدٍ منهم قد كَوَّن صورةً معينةً عن زملائه، فبدرٌ هو الأمهرُ في كرة القدم، وسعيدٌ هو الأذكى في الرياضيات، وعمر هو الأفصحُ في القراءة. حامدٌ هو الأفضل في الرسم، ولكنه يُحبُّ أشياءَ زملائه كثيراً ويَطلبُ منهم أن يعطوه من فَطورهم وعصائرهم وربما وصل الأمر إلى ما هو أبعدُ من ذلك.

مرَّ الشَّهر الأولُ وتبعهُ الثَّاني والشكاوى تتزايدُ على حامدٍ مع تقادم الأيام. هذا يقول يا أستاذ أخذَ لي عصيري، والآخر يقول: أخذَ مني ريالاً، وكنت قلقاً من تحوُّلِ كلمة أخذَ إلى سَرَق. وفي كل مرَّة أقول لهم: إنكم أسرةٌ واحدة وفي الأسرة قد يأخذُ الطفلُ من أشياء أخيه وقد يعطي الأخُ الأكبرُ قطعةَ الحلوى لأخيهِ الأصغر. لكنَّ الأمرَ تعاظَمَ ولم تعُد حلولي مجديةً فَبتُّ أحضرُ حامداً وأنصحه وأنبِّهه فيقول: آخر مرَّة، واللهِ لن أعيدها فقلتُ له مرَّة: هل ترضى لأحدٍ أن يأخذَ من أشيائك شيئاً؟ قال: لا. إذاً، كيف تَسمحُ لنفسكَ أن تستحلَّ أشياءَ الآخرين؟ قال: أشتهي الأشياء التي مع زملائي. فقلتُ له: إذا اشتهيت شيئاً ما تعالَ إليَّ، وأخبرني وسوفَ أعطيك إياه حسناً؟ قال نعم.

لمْ تُجدِ محاولاتي، بالتعاون مع معلمه، نفعاً، كما أنَّ أساليبَ العقاب كان مفعولها سَرعان ما يتلاشى أمامَ مشهَدِ لعبةٍ جميلةٍ في إحدى حقائب الزُّملاء أو تفاحة حمراء شهيَّة بيَدِ آخر فكَّرتُ في إخبار والده – والجدير بالذكر أن الطالب من أسرةٍ غنية– ولدى حديثي الطويل مع والده أدركتُ إلى حدٍّ ما جذورَ المشكلة وهي أن حامداً يُعطى كل ما يريد وكل مايشير إليه بنانُه ورحم الله البوصيري الذي قال:

تَعاونَ كِلا والديه معي وطلبتُ منهما أن يرسلا بعض الألعاب وأسلِّمه إياها بشكل هدية من المدرسة أو جائزة من المعلم. وارتأيتُ أن أنقله من الفصل الذي فيه لأغيِّرَ له البيئة التي قد لا تساعده على تغييرِ ما لَحِقَ به من جرَّاء ما اقترَفتْهُ يداه.بَدأ حامدٌ بدايةً طيبةً في الشُّعبة الثالثة واستقامَ أمرُه والجميع يتعهَّده بالهدايا والحَلْوَيات وغيرها. أحسستُ بالاطمئنان على وضعه . وفي يومٍ كان قد أحضرَ لعبةً جميلة وهي سيارةٌ تمشي بجهازِ التحكُّم احتشدَ جُموع الطلاب حولَه يغبطونَهُ وهم مستمتِعُون بسيارة العصر الخارقة.الذي كان أكثر سعادةً هو حامد حيث كانت دقَّاتُ قلبِه تفوقُ سرعةَ السيَّارة التي تكادُ أن تطير.انتهت الفسحةُ الأولى وجمهور الرَّالي ودُّوا أن تطولَ بهم الفسحةُ وإنْ بضع دقائق.

بدأت الحصةُ و خرجَ طلابُ الصف الثاني الابتدائي إلى الملعب مع معلِّم الرياضة فذهبت إلى فصل حامد وفتحتُ حقيبَتَه، وأخذتُ اللعبة بنفس الطريقة التي كان يستخدمُها حامد عند استباحةِ أشياء الآخرين. انتهت حصةُ الرياضة، وبدأت الحصةُ التي تسبقُ الفسحةَ وبدأ يتحسَّسُ لعبتَه في الحقيبة استعداداً للشوط الثاني من مشهد الرالي في الساحة، ولكنَّه لم يجد شيئاً . فَتحَ الحقيبة ومدَّ يدَه ثانيةً ولكن دون فائدة، رفعَ الحقيبةَ ونثرَ أشياءَها على الأرض، فأنْذرَهُ المعلمُ بالتزام الهدوء وساءلهُ عن سبب ذلك فقال: يا أستاذ، لم أجد لعبَتي وفاضَت الدموعُ من عينيه. فقال له المعلم: هدِّئ من غضبَك، سنجدها إن شاء الله ، أي هدوءٍ وأيَّةُ رويَّة وقد ضاعت لعبةُ العمر لأنها في تلك اللحظة تفوقُ أثمنَ الجواهر في نظر حامد.

حانَ موعدُ الفسحةِ وخرجَ الجميعُ إلى الساحة يبحثُون عن حامد ولكنَّ حامداً جاءَ إليَّ بلهفةٍ وحُرقةٍ منتفخَ الأوداجِ، فاغرَ الفمِ، ودموعُه بَلَّلَت وجنتَيه ،فقلتُ ما بك ياحامد؟ قال: لم أجِد لعبتي في الحقيبة يا أستاذ، لعبتي ... لعبتي. .. فقلتُ: لا عليك، سنجدُها إن شاء الله، ربما أعجَبَت أحدُ زملائك وأراد أن يلعبَ بها لبعضِ الوقت ثم يعيدها لك ؟ فقال: لا يجوز، حرام، كيف يأخذها من حقيبتي وأنا لا أعلم؟ قلتُ: اذهب غَسِّل وجهَك

يأخذها من حقيبتي وأنا لا أعلم؟ قلتُ: اذهب غسِّل وجهك وعُد إليَّ ثانية. وعندما عادَ وجلسَ قلتُ له : مار أيك فيمن يسرق أشياءَ زملائه ؟ قال : لص... مجرم . قلتُ : يا حامد لعبتُك عندي فقال: صحيح يا أستاذ ؟ قلت : نعم ، فالأطفال يا بنيَّ لا يسرقون، ولا يأخُذون أشياء ليست لهم . هذه لعبتك، ولكنني أردت أن أريكَ مشاعرَ زملائك وألَمَهُم عندما كنتَ تأخذ أشياءَهم. فقال: أنا تبتُ ومنذُ شهرٍ لم آخذ من أحدٍ شيئاً. قلتُ : باركَ اللهُ فيك يا بنيَّ فأنت طالبٌ ممتازٌ ومهذَّب .خُذ اللعبةَ وحافظ عليها.

خَرج حامدٌ مِن المكتبِ وبحمد الله وتوفيقهِ أقلعَ عن العادة الذَّميمة التي كان يمارسُها وها قد مضت سنونُ ثلاث على هذه الحادثة دونَ أن يأخذَ حامدٌ من أحدٍ شيئاً وانجابَت تلك الغمامةُ عن نافذة نفسه الشَّفافة، وأصبحت من عالم الماضي الذي لن يعودَ بإذن الله، ودخلت الشمسُ بنورها السَّاطع تداعبُ أزرار الزَّهر، وتوقظُ البلبل الصغير في خميلة حامدٍ الجميلة.

حلب / ٢٠٠٠ م

obeikandl.com

الأمانيّ الجَريحَة

الأمُّ كوثرُ الحياةِ، واخضرارُ النَّبات. هي دفءُ الشتاءِ وعذوبة الماء ولونُ السماء. الأمُّ عطرُ الزهر وروعةُ القمر وظلُّ الشجر. هي انحناءةُ القصب وتواضع السنابل الملأى وشموخ الدوح المبارك. في قلبها تتدفَّقُ محيطاتُ العالم التي تغذِّي الأنهارَ والجداولَ والغدرانَ بماءِ الحنانِ و سلسبيل الأمان. في صدرها سَعة الأفق وصبر الأنبياء وفي راحتيها سِحرُ العبق ورقَّة النُّبلاء.

في صباح هذا اليوم هاتَفَني حارسُ المدرسة يقول: أمُّ عُمَر تريد أن تشاهدَ ولدها وستقول لك شيئاً . اصطحبتُ عمر ونزلنا معاً إلى باب المدرسة وعندما أصبحنا ما بين دَفَّتي الباب المفتوح أفلتَ عمر يدَه مني، وانطلقَ كالسَّهم أو كالعُصفور الهارب من المطر إلى عُشِّه. انطلقَ لتستقبلَه ذراعا أمِّه وقد احتضَنَتهُ وضمَّته، وقبَّلته وربما تخضَّبت وجنتاه بدموعِ الشَّوق ودفءِ الحنان.إنَّ لقاءَ عمر مع أمِّه- التي انفصلَت عن أبيه منذُ سنواتٍ عدَّة-كان أشبه بعودةِ الروح إلى الجسد و استقرار الماء في الوُهَدِ. كان موقفاً لو رأتهُ الأحجار لتشقَّقَت ولو سمعتهُ الأطيارُ لناحَت.

تواريتُ عن الأنظار لأن الموقفَ أدمى قلبي وطفِقتُ أنتظرُ ريثما ينتهي عمر من احتساءِ جرعةِ الحنان التي كانت في هذه المرة أمامَ بوابة المدرسة. وبعد نهاية الموقف كانت الأمُّ قد أحضرَت هدايا بعددِ زملاء ولدها رفْعاً لمعنوياته وتوثيقاً لعلاقته معهم.

دخلتُ إلى الصف ومعي عمر ومن خلفنا الحارس الذي ضاقت كلتا يديه ذرعاً بأكياس الهدايا الأخَّاذة. أخبرتُ التلاميذ أن زميلَهم عمر يحبُّهم كثيراً وها هو الآن قد أحضرَ لكم الهدايا الجميلة فاشكرُوه وصفِّقُوا له. استجابَ الطلابُ وراحوا يصفِّقُون ويشكرُون زميلهم، ودوَّت عبارات شكرهم في أرجاءِ الطابق الأول.

شعرَ عمر بالنَّشوة وكان شعوره تجاهَ زملائِه أشبه ما يكون بشعورِ الرَّجل الثريِّ الذي يُنفقُ على المُعْوزين. وقبل أن أنسحبَ من الفصل أخبرتُ المعلم أن يكتبَ له عبارات تشجيعية على هذه اللفتة الإنسانية النبيلة.

وفي الفسحة الثانية نزلَ عمر مع أقرانه وهم يبادلونَهُ نظرات الإعجاب وكأنَّ عمرَ

obeikandl.com

أصبحَ اليوم في عيونهم أجملَ وأروعَ مما كان في السابق. كان يحاولُ أن يقتربَ مني وعيناه تُوحيان بأنَّ عنده كلاماً يريد أن يقولَه لي. ومع رنين جرس الحصة السادسة اقتربَ مني أكثر فاستبقتُه قائلاً : هل تريد شيئاً يا بني ؟ فأجاب: هل تعرف رقم جوال أمي يا أستاذ ؟ قلت: نعم. وماذا تريد من أمك؟ ألم تُحضِر لكَ الهدايا قبل قليل وبقيتَ معَها نحوَ نصفِ ساعة ؟ قال: أريدُ أن أقولَ لها شيئاً. وما هو ؟ قال: أتمنى أن تأخذني اليوم معها لأن أبي وزوجته سيذهبان لزيارة أختِها المريضة ولا أرغبُ بالذهاب معهما. قلت: أحاول إن شاء الله.

لم أتَّصل بالأم لأنني أعرف أن الأبَ يمنعُ ولده من الذهاب إلى بيت أمه إلا أنه يسمح له بذلك في المناسبات كالأعياد وعندما تملُّ منه زوجةُ أبيه بعض الأحيان وفي اليوم الثاني اتَّصلتُ بالأب أستأذنُه بخروج ولدِه مع أمِّهِ في أثناء ساعاتِ الدَّوام الرسميَّة عندَ الضرورة، وقد تحدَّثتُ معه بطريقةٍ إنسانية لطيفة سَدَّت بوجهه كلَّ مبرِّرات الرَّفض. فقال: لا مانع لدي .فرُحتُ على الفور واتَّصلتُ بالأم أزُفُّ خبرَ موافقة الأب. وبدأت أمُّ عمر تأتي لمشاهدة ولدها بين الحين والحين. وفي بعض الأحايين أجدُني أتجاوزُ أنظمة المدارس وأسمحُ لأم عمر بأخذِهِ إلى السوق لتشتري له بعضَ اللَّوازم المدرسية في أثناء حصة الفنية أو البدنية وتعيده إلى المدرسة ثانيةً لأشعر بأنني فعلت شيئاً أو قدَّمت همسة إنسانية للبريء عمر.

عشتُ مع عمر غيرَ سنةٍ وهو على هذه الحال. فهل فكَّر أبواه بدُوَّامة الحزن والألم والعذاب النفسي الذي سيكابدُه هذا الطِّفل من جرَّاء حِرمانه من حضن أمِّهِ ودفء أبيه ؟!

معرة النعمان / ٢٠٠٤ م

الجمعية الخيريّة

مع إطلالة شمس أوّل يوم من أيام الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٢١ هـــ حلَّ عبد الرحمن ضيفاً وديعاً ووسيماً على مدارس العليَّا الأهلية. وبعد أن رَحَّبتُ به، وفتحتُ لهُ قلبي وفرشت لهُ ابتسامتي روضَةً من الأمان يخطو عليها خُطُواته الأوَل في العالم الجديد والغريب. وبعد انتهاء المراسم وتشييع الضيف إلى مقعده، وسْط وابلٍ من تصفيق الزملاء، وابتسامات المعلم. اصطحبني والدُه جانباً وقال: عبد الرحمن أمانتك يا أستاذ؛ فهو ولدي الوحيد فضلاً عن كونه خجولاً، وأنا نقلتُه من مدرسته بسبب تعرُّضه للضرب المبرّح من قبَل زملائه وتابعَ قائلاً: ولدي تربيةُ بنات لايملكُ أن يدافعَ عن نفسه.

وعندما انتهى من توصياته المضمَّخة بحنان أبوَّته ودفء لهفَته، كنت قد هيَّأتُ كأساً مترعة من رحيق الاطمئنان والأمان لأسكبَها في مسامعه. ذهب الأبُ يحدُوهُ الأملُ في أن يعيشَ ولدُه حياةً آمنةً في كنَف عباراتِ الأُنْس والرِّقَّة التي سمعها مني.

في آخر أيام الأسبوع كُنت قد رَشَّحت ضيفَنا لينالَ جائزة الطالب النَّظيف على مستوى فصله ويتسلَّمها من المشرف العام على رؤوس الأشهاد . ومعلم الفصل لم يدَّخر جهداً في تقديم الدَّعم النَّفسي والمعنوي الممكن لدمجِ عبد الرحمن مع المجموعة، إذ ليس من السهولة بمكان اختراقُ مجموعات الصغار على الرغم من بساطتها وبراءتها، إنها أشْبهُ بخيوط العنكبوت .

إنَّ الحميميَّة بدَت واضحةَ المعالم بين الضَّيف الحييّ وسكَّان الفصل الأصليين، وكانت هذه الحميمية تُسعدني جداً لأنها تعبيرٌ عن نجاحنا في تهيئة بيئةٍ تعليمية مناسبة لعبد الرحمن، أضف إلى ذلك سعادة أبويه بانسجامه مع العالم الجديد التي تمثَّلت بعبارات الشكر التي يدوِّنانها على مذكرة ولدهما.

شاء المولى عزَّ وجلَّ أن أكشفَ سرَّ الحميميَّة بين عبد الرحمن وزملائه بنَظرة من النافذة الخلفية للصف الثاني لتقعَ عيني على حافظةِ طعامٍ مليئة بأشهى الفواكه وألذِّ أنواع الحلويات التي يسيلُ لرؤيتها لعاب الأطفال وعبد الرحمن يوزِّع عليهم محتوياتها تغمرُه سعادةٌ بالغة وثقة عظيمة وكان أشبه بمن يوزع الفَيْءَ على الجنود المنتصرين. وعندما نفضَت الحافظةُ حملَها الثقيل عن كاهلها، مدَّ عبد الرحمن يدَه وأخرجَ ريالاً وأعطاه لأحدِ زملائه. ياإلهي ! ماهذا السخاء وتلك الأريحية ؟!

لم يشاهدني أحدٌ من الفرسان عندما كنت أرْقُبُ عن كثَب فصولَ الوليمة الشهيَّة ، وما

هي إلا لحظات حتى وجدتُني أفتحُ عليهم الباب، وأُنغِّص عليهم متعةَ التلذُّذ بصيد الفسحة الأولى الثمين. عندما فُتح الباب حاول بعضُهم الهرب من المسافة الضيِّقة التي ظلَّت شاغرةً ما بيني وبين الباب وقامَ آخرُ بإعادة التُّفاحة إلى زميله بعد أن كان قد عَبَرَ منتصف الطريق فيها وصاحب الريال قال: هو يعطيني الريال لألاعبه بالحَبْشة[1]. لقد شعر الجميع بأن ما فعلوه ليس صحيحاً وأن أمعاءَ الإنسانية لا تتمكن من هضم هذا العنصر النَّشاز.

لقد عالجتُ موقفَ مستحقِّي الفيء في حينه وقد أخذتُ عليهم المواثيق الغليظة التي أغلظها حرمانهم من حصة الحاسب أو حصة التربية البدنية. أما عبد الرحمن فلم أسأله في حينها لأنني أعرفُ مسبقاً حُجَّته في ذلك . فهو يدفعُ إتاوةً ليضمَن الأمان ويشتري الزمالةَ شراءً. وفي الفسحة الثانية ناديتُه وقلتُ له: لماذا تعطي مصروفك وفَطورَك لزملائك ؟ أجابَ : أنا أحبهم وأريد أن ألعب معهم. على العموم، أنت مؤدب ومجد سيحبُّك زملاؤك لهذه الأسباب وسأجعلهم يلعبون معك بدون نقود أيضاً.

وعندما اتصلت بالمنزل لأخبرَ وليَّ الأمر بما يحدث فوجئتُ بأن أم عبد الرحمن تقوم بدور المموِّل لجمعية ولدها الخيرية، وقد أخبرتني بأنها سعيدة بذلك، فمن جهة تنال الأجر من الله ومن جهة أخرى تدفعُ عن ولدها الوحيد الأذى المحتمل من زملائه الجدد.

قلتُ لها: ربما أنت على حق ولكنْ لهذا الفعل نتائج سلبية تظهرُ على نفسيَّة ولدك عندما يكبر، وربما تنال من قوة شخصيته ومن ثقته بنفسه، وكان عليك أن تخبريني بذلك قبل الشروع في العلاج الذي تظنين أنه ناجع. لقد توقفت أمُّ عبد الرحمن عن فكرتها، وتمكنتُ بمساعدة معلمه أن ندمجَ عبد الرحمن بالمجموعة يلعب معهم «الحَبْشة» والكرة دون أن يخسرَ شيئاً من أشيائه.

وهكذا مَرَّ العامُ الدِّراسي على عبد الرحمن وصحبه يلعبون ويمرحون إلى أن أودعوا عامهم الدراسي في حضن الماضي وجزيرة الذكريات الجميلة.

الرياض / ١٤٢٣ هـ

---

(١) الحَبْشَة: لعبة يؤديها الأطفال في شبه الجزيرة العربية.

obeikandl.com

حسرةٌ سَبَقت كَلماتِها ، وألَمٌ وَشَّحَ فواصِلَ حَديثِها .حَرجٌ شَديد الأثر ، وحُزنٌ بعيد المَدى وعميقُ الصَّدى كان يَفرضُ نَفسَهُ على مَضمونِ المُكالَمَة الهاتِفيَّة ؛ التي كُنتُ فيها مُستَمِعاً في حين أنَّ أم فيصل كانت سَيِّدَةَ المَوقف .

قالت وأحْسَستُ أنَّها نَدمَت ، وَشَكَت ثمَّ تردَّدت مع أنَّ أريجَ الأمومةِ عطَّرَ الشَّكوى ، ودفءَ الحنان ضَمَّ الحُروفَ ، وغَسلَها بماءِ الطُّهر ، ونُبْلِ الأمومة لتَصِلَ إلى مَسامِعي بأرَقِّ أسلوب ممكن . ولَكأنَّما هذه الشَّكوى -على أثَرِها التَّربوي العَميق قد تَحوَّلت إلى تَوصية .

قالت : إنَّهُ يَشْتُمُني ، ولا يَحتَرِمُني ، وكَثيراً ما أوقَعني أسيرةً وحائرَةً في شِباكِ الإحراج على مَرأى من الأهل والصَّديقات . أنْصتُّ إليها بكامِلِ التَّركيز والاهتمام ، وبَعد أن خَتَمَت شَكواها بنُقطة مِن يَراعِ دَمعِها . طَرحتُ بَعضَ الأسئلَة الَّتي تُعينُني على مُعالَجَة هذه الحالة . وقُلتُ مُطَمْئناً إياها : الأمرُ بإذْنِ الله يَسيرٌ ، ولكنَّهُ يَحتاجُ إلى وقتٍ وبُعدِ نَظرٍ وتَدبير .

وفي المَساءِ جَلَستُ وحدي وَبَدأتُ أُفكِّرُ ، وأدعو الله أن يَهديني لِحَلِّ هذه المُشكلة التي ألْقَتْها أمُّ فيصل على مسامعي فتحولَّت إلى أرَقٍ يُقضُّ مَضجعي ، وشُرود يَأخُذُني إلى حَيثُ الحدَث . وفي اليوم الثاني وفي نِهاية الحصَّة الثالثة كُنت قَد حَضَّرت الجُرعَة الأولى والَّتي كانت قصَّةَ الأعرابيِّ الذي سأل الرسول ﷺ قائلاً : « **مَن أحَقُّ النَّاس بِحُسنِ صَحَابَتي؟** » فأجابَهُ أُمُّك لثلاثِ مرَّات على التَّوالي . وَكنتُ قَد أشركتُ فَيصلَ غَيرَ مرَّة في مجريات القصَّة قاصداً ذلك لكي أُحرِّكَ أزهارَ الفِطرة الذابلة في روضة نفسه . أما الجُرعة الثَّانِية فَكانت عَن مُعاناة الأمِّ في أثناءَ الحَملِ والرَّضاعة وما تقاسيه في سبيل راحة ولدها مُستَثيراً عاطِفَةَ الأبناء لعلِّي أُصحِّي بَعْضَ الأحاسيسِ المتبلِّدة والشَّاردة في نفوسهم . وقَبلَ أن يَنتَهي الأسبوعُ الأول بادرت الأمُّ تَشكُرُني - والشُّكر لله - على عُزوفِ ولدِها عنِ الشَّتم المَعهود .أما الجُرعةُ الأخيرة فَكانت رِسالةً كَتَبْتُها لِوالِدَتي بأُسلوب يَتَّسِمُ بِسُهولَةِ التَّعبير . وكُنتُ أفتحُ الرِّسالةَ عقِبَ كُلِّ حِصَّة وأبدأُ بِقراءَتِها قراءة صامتة ، وأُظْهِرُ التأثُّرَ العميق في مُحاوَلَةٍ لانْتِزاعِ فُضولِ التَّلاميذ .

وفعلاً كان ذلك، حيث سأل بعضُ الطُّلاب عن مُحتوى هذا الظَّرف الذي في يدي. فَأجبتُهم: هذه رِسالةٌ لأُمِّي الغالية وكُلَّما قَرأتُ هذه الرِّسالة أشعُرُ بِتأثُّرٍ شديد. لو تعلمون ما

في هذه الرِّسالة الجميلة أيها الأبطال؟ إنها رسالة كتبت بعباراتٍ من العرفان والشكر والوفاء.
أثارَت هذه الكلمات حفيظةَ كلٍّ واحدٍ منهم، و تَعَلَّقت أعيُنُهم بها.

في اليَوم التالي وعندما بَلَغت القُلوب الحَناجِر، وَبعدَ شُروط ومَواثيق أخَذتُها عليهِم بِالتَّدَرُبِ على كلماتِ الإملاءِ لِيوم الأربعاء وحفظ الأنشودة عن ظهر قلب وغَيرها، قَرَّرتُ أن أُميطَ اللّثام عَن الرِّسالة. صَمتٌ ووُجومٌ يَلُفَّان عالَم غُرفَة الصَّفِّ الثاني، عُيونٌ وكَأنما جَمَدَت مَآقيها، وآذانٌ قَد استجمعت كُلَّ قُواها في الإصغاء، وكَأنَّهم سَيسمَعون مُعَلَّقَةً من مُعَلَّقات زُهير، أو أُنشودةً من أناشيد بَرامِجِ الأطفالِ المُحَبَّبة. قَرأتُ الرِّسالة، وَسُرَّ الأولادُ ولاسيَّما عندما خَتمتُها بأُنشودةٍ جميلةٍ من الأناشيد التي مازلْتُ أحفظُها مُذ كُنتُ طالباً في الصفِّ الأول الابتدائي وهي:

ماما ، ماما، يا أنغاما
تملأ قلبي بندى الحبِّ
أنا عصفورٌ ملءَ الدار
قُبلةُ ماما ضوء نهار
أفتحُ عيني عند الفجر
فأرى ماما تمسحُ شَعْري
أهوى ماما أفدي ماما

لقد دعَوتُ حقاً لأُمِّ فيصلَ التي ساعَدت جَناح ذِهني على التَّحليق فوق واحةٍ الأمومة لأفتَتِنَ بجمالها ونبلها ودفء حنانها، وَأعودُ وقَد حَمَلْتُ فَوق أجنِحتي قُطوفاً من أوراقِ الزُّهور وفي فَمي أنغام البَلابِل المُغَرِّدة لألقيها على مسامع الأطفال قِصَصاً رائِعةً، وَتَوجيهاتٍ هادفة ومؤثِّرة.

لقد عَزَف فيصل عن الشَّتم المعهود، وتحوَّل إلى طفلٍ بارٍّ بوالدته. لأنَّ الأغصان الطريَّة يسهُلُ تقويمها. وإن الأرض الخصبة تُنبِتُ كلَّ أنواع الأزهار والثمار إذا ما سُقيت بِقَطْر الخير وأمطار النُّصح وندى التربية الصحيحة.

سوريا - الغدفة - ١٩٩٩م

الحياءُ لا يأتي إلا بخير

رنَّ الجرس معلناً انتهاءَ الفسحة الأولى فاندفعَ التلاميذُ نحو الأدراج اندفاعَ النحل نحو رحيق الزهور. لقد انصرفوا بعد أن تعطَّر فِناءُ المدرسة بوشوشاتهم البريئة، وتعِبَ الثَّرى من كثْرة مرحهم ومُلاحقة أحدهم الآخر. رفرَفت ابتساماتهم فوق سماء المدرسة وسافرَت مع الفراشات المزركشة وطائر الكناريّ لتستريحَ فوق خدود الزهر وتحطَّ أمانيها الواعدة في حضن الأثير الرَّطْب.

اكتظَّت الأدراج بالمتجشمين يلبُّون نداء الحقائب المثقلة بالكتب والقراطيس ونداء اليراعة التي تبحث عن يدٍ تُقلِّمها، لتخُطَّ حروفَ الهجاء التي أصبحت أليفةً وصديقة بعد أن نزعَت القناعَ المخيفَ عن وجهها.

وبينما كنت أمشي في الساحة أحُثُّ بعضَ خطا التلاميذ البطيئة على الانطلاق، اقتربَ مني أحد المعلمين وقال بصوت خافتٍ مليءٍ بالحذر: يا أستاذ ، الحَق مصطفى تمزَّقت سراويلُه وهو يركض. شكرتُ المعلم على هذه اللَّفتة النبيلة وتريَّثتُ قليلاً حتى تبيَّنتُ من خلُوِّ الساحة حرصاً على عدم انفضاح الأمر الجلل. توجهتُ إلى مصطفى وقد انكمشَ على نفسه وأودع رأسه بين يديه وألصقَ ساقيه على بعضيهما .ناديتُه مرةً تلوَ المرة ولكنْ من غير جدوى، مسحتُ على رأسه،ورحتُ أمطِرهُ بوابِلٍ من كلمات التَّخفيف والمواساة التي لم تلامس رضاه ولم تنجح في تحريك رأسه الذي تترَّسَ بين يديه على المنضدة الخشبية .

نعم،فالأمر ليس سهلاً بنظر مصطفى الحييّ الذي لم يمْضِ على انطلاقة رجليه المقيَّدتين ولسانه المتعثِّر وقتٌ طويل، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بُذلت معه لكي يغرِّدَ كسائر العصافير في عش الصف الأول الابتدائي.

تلفَّتُّ يمنةً ويسرة فوقعت عيني على والده فهُرعتُ إليه، وما إن أخبرتُه بالحدث الرهيب حتى ابتسم قائلا : يا إلهي هاتِ حلاً لها ' اصطحبَ الأب ابنَه الذي يمشي بخطا وئيدة يكبِّلُها الحذرُ والحرصُ وقد تمنى أن تُفتح ثغرة في الساحة ويندسّ فيها. من يدري ؟ قد يكون جميع طلاب الصف قد رأوا السراويل الممزَّقة وربما رأوا شيئاً آخر

؟ وربما ذهب ظنُّ مصطفى إلى أنَّ أهلَ الحي كلهم تجمَّعوا وعلموا بالخبر وربما أُذيعَ ذلك الخبر في التلفاز.....؟؟

اصطحب الأب ابنه إلى المنزل وبقي شيءٌ نبيل لم يغادر ذاكرتي، إنه حياء مصطفى الذي فاحَ عبيُره فملأ الدنيا فطرةً ونقاءً وطهراً. مصطفى البريء المضمَّخ بالعطر الرباني وبالأريج السماوي.وفي صباح اليوم الثاني سألتُ والده عن أحاسيس ولده تجاه الأمر فقال : ربَّ ضارَّة نافعة. قلت: وما الذي تقصده ؟ قال:مصطفى يرفض لبسَ الملابس الداخلية بكل أصنافها وقد أتعبَنا معه. ولكن بعد العاصفة التي مرت عليه بالأمس تقبَّل الفكرة بيُسر وسهولة.

يا إلهي ما أروع الحياء، وما أطيب الدنيا معه ! ما أنقاه وما أجمله. ورحم الله أبا تمام الذي قال:

يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

الرياض- ١٤٢٦هـ

السنّ الغالية

جرَّت اختباراتُ منتصف الفصل الأول ذيولَها آخذةً معها غيومَ الخوف وأحاسيس القلق و الحذر، وصدى اللحظات التي توقفُ القلب عندما يشرعُ المعلمُ بتوزيع أوراقِ الأسئلة على طلاب الصف الرابع، الذين لم يألفوا هذه الطريقةَ الصعبة في الاختبارات. وهم يتساءلون ترى ما الذي دها الأبجدية الجميلة التي كانت أناشيدَ عذبةً وصوراً مزركشةً لتتحوَّلَ فجأةً إلى قواعدَ جافةٍ وكسورٍ وخرائطَ أشبهَ بالطلاسم إذ تتغيَّر فيها حقيقة الجهات فيصبح الشمال في الأعلى والجنوب في الأسفل ؟؟

كل هذه التساؤلات تحوَّلت إلى ابتسامات في الثغور وفضاءاتٍ رحبة في الصدور إثرَ صدور النتائج. نعم لقد تنفَّس الحذِرون الصُّعَداء وراحوا يُطلِقون أرجلهم للريح يقفِزون ويضحكون، معبِّرين عن فرحهم بانتهاء دوام اليوم الثقيل، وبين الفينة والأخرى تداعبُهم روائحُ الغداء الشهي الذي ينتظرهم.

أما حَسَنُ صاحبُ الابتسامة المعهودة فبدا كفراشةٍ مزركشة تبحثُ عن الرحيق تتنقل من زهرةٍ إلى زهرة ومن غُصنٍ إلى آخر. وكلما أجلْتُ طرفي أراهُ متحمساً ومندفعاً.

وفي لحظة من لحظات الألم تَنادَى طلابُ الصف الرابع قائلين: ((يا أستاذ يا أستاذ ((طاحَ حسن)) أي وقع . وماذا جرى له: قالوا: كُسرت سنُّه: فرُحتُ من فوري أبحثُ عن السن الغضَّة التي فارقت العِقد الأبيض الجميل في ثغر الغصن الزاهي.

لم أجد السن، وتبعتُ حسن الذي دخل إلى مكتب المدير باكياً، وعندما سأله أبو عبد الله عن سبب بكائه الذي ظن أن مصدره الألم قال حسن: هذه السن لن تنبُتَ ثانية. خفَّف عنه الأستاذ ماجد بكلمات مليئة بالأنس والحسٍّ النبيل، ومسحَ على رأسه، وأرسله إلى الطبيب الذي كان قد خرج من فوره، وصرت أنا الطبيب، فبدأت أبحث من جديد عن السن آملاً أن تعود إلى مكانها بناءً على خبرتي الطبية. نعم لقد وجدناها .

لفَفتُها في قُماشة معقَّمة، وبدأتُ أواسي حسن الذي انكسرَ قلبي لدموعه، ولكم تمنيت أن أفتدي ذلك بكل ما أملِك، وقلت له: انظر إلى سني الأمامية لقد كُسِرت عندما كنتُ في الصف الخامس وقد وضع لي الطبيب لي سنّاً أخرى. فالأمر يسيرٌ يا بني.

ظلَّ الأملُ يداعبُ ذاكرتي في عودة السن إلى حالتها الطبيعية هنا حضرَ والدُ حسن الذي جُرح فؤادُه وقد تنهَّد تنهُّداً عميقاً يخفي وراءه دفءَ الأبوَّة وحنانها.

عادَ حسن في اليوم الثاني وكأنَّ شيئاً لم يكن وعادت السنُّ إلى ما كانت عليه وعادت الابتسامةُ الجميلة إلى الثغر الباسم. ورحم الله الشاعر الذي قال:

وصن ضحكة الأطفال يا رب إنها ... إذا غردت في ظامىء الرمل أعشبا

الرياض ١٤٢٧هـ

الصَّبرُ الجميل

بدأ العامُ الدِّراسي ١٤٢١-١٤٢٢هـ يَحملُ في طَيَّاتِه البَشائرَ الجَميلَة، والنُّجومَ المُتَلألئَة والحلويات اللَّذيذة للمُتَفَوِّقين، وكانَت حصَّةُ ماجدٍ منها نَصيبَ الأسَد لِتَميُّزِه وحِدَّةِ ذكائه، وحُضور بَديهَته. وليسَ ذلك فَحَسْب بل هو اللاعِبُ الهَدَّاف، والرَّسَّامُ الموهوب.

ليسَ هذا غَريباً فماجِدٌ إنَّما جاءَنا من بَيتِ علمٍ وأدب، وَ العلم فيه أكثَرُ أهميَّةً من الطعام والشَّراب، والتَفَوُّقُ عِندهم مَطلَبٌ لابَديلَ عنه ولا مُهادَنَةَ فيه وعلاقتي مَعَ هذا الطالب علاقَةٌ مُتميزة، فَبالإضافة إلى كوني مُشرف المرحلة الأولية التي هو فيها كُنتُ أُعلِّمه اللُّغَةَ الإنجليزية والتي هي تَخَصُّصي الدَّقيق.

ذاتَ يومٍ وبينما كنت أتَفَقَّدُ الطلاب في الاصطفاف الصَّباحي لم تلمح عيناي ماجداً، وهذه هي المَرَّةُ الأولى التي يَتَخَلَّفُ فيها عن الاصطفاف الصباحي. وَقَبل أن أتَّصِلَ لأعرفَ سَبَب غياب «الكابتن» كان أبو ماجدٍ قد حَضَرَ إلى المدرسة لِينقُلَ إليَّ خبراً تمنَّيت ألا أسمعه لِشدَّة تأثُّري لما حَصل لِطالبي المجد، وعندما شرعتُ أرتِّبُ عبارات الدُّعاء والمواساة كان أبو ماجدٍ الصَّابر قد لَقَّنني درساً في الصَّبر والاستسلام للقضاء.

مَرَّ اليومُ ثَقيلاً عليَّ، وأحسستُ أنَّ الجوَّ مُكدَّرٌ في ناظري، وأن الهواءَ السَّاخن يلسعُني بحِدَّة. وفي خِضمِّ هذا الجوِّ الذي وَشَّحَ قلبي بالحُزن كانت بارِقَةُ أملٍ تَلوحُ في أُفق نفسي، وتُداعِبُ أمنياتي بشفاء ماجِدٍ.

بعد قليل أخبرتُ المعلم بالحادثِ المروري الذي أدّى إلى إصابة الذي يتصَدَّرُ لوحةَ الشَّرف جِداً وذكاءً. تَألَّم المعلمُ كثيراً، وطلبت منه أن يهيئَ الطلاب لِزيارة زميلهم.

لم يَكُن أبو ماجدٍ كما تَصَوَّرت، وإنَّما كان تَعامُلُه مع الحادِث يَفوق حدودَ الاتِّزان، ويتجاوز وقار الصَّمت، ويَسبقُ المدى في الأناة.

وَصلنا المنزل، واستُقْبلنا بِحفاوَةٍ وتكريم. إنَّ فرحَةَ ماجدٍ بِزيارة زملائه أنْسَتهُ ألم عينِه.فَطارت مشاعِرُهُ، وصَفَّقت أحاسيسه، وما هي إلا لحظات حتى راح ماجدٌ يصطحِبُ العصافير الصَّغيرة يُعرِّفهم بغُرفته وأشيائه وألعابِه. وذَهبت التعليمات الصارمة التي أوصيتهم بالالتزام بها أدراجَ الرياح. وعندما انتهت الجولةُ الأولى مع قدوم الضِّيافة والعصائرِ تَدَخَّل أبو ماجدٍ بِلباقتِه المعهودة وهدوئه المُحبب يُوضِّح للأبناء أهمية حِزام الأمان عند ركوب السيَّارة.

مَضى الوقت المُحدَّد، وودَّع الصغارُ زميلَهم بعد أن سكبُوا في قلبه كأساً من الفرح، ورسموا على شفتيه الذابلتين ابتسامات أشبه ما تكون بقطرات النَّدى على خدودِ الورد.

إنَّ آليَّة العلاج سَتستمِرُّ قرابَةَ شهرٍ لكي لا تُصاب العين السليمة بأي ضررٍ وحتى يبقى مستوى ماجد ممتازاً في اللغة الإنجليزية، تَشَرَّفتُ بِتدريسِه في منزلي مُدّة شهرٍ تقريباً مما جعل الأُلفة تزدادُ بيني وبينه، وكنتُ أشعر بسعادةٍ عظيمة لإحساسي أنني أقدم شيئاً وأُضيفُ إلى روضة الإنسانية زهرة شَذيَّةً.

مَرَّت الأيامُ سريعَةً واستَقَرَّت حالَةُ ماجد عند فَقْدِ نَظَر عينٍ واحدة، وبقاء الأخرى صحيحة سليمة. أبلَغتُ أبا ماجدٍ بِضرورة حُضور ولده إلى المدرسة يوم السَّبت فقال لي: إنَّ ماجداً يَرفضُ ذلك بِحُجَّة أنَّ زملاءه في الفصل سَيسخرونَ من النَّظارة التي استجَدَّت على شخصيته، ورُبَّما لَمزوه بِبعض العبارات التي يخشاها .

طَمأنتُ والدَ ماجدٍ عندما قُلتُ له: إننا لم نُخبر الطلاب بِأنَّ ماجداً قد فقَدَ إحدى

كريمتيه، واكتفينا بِالقول: إن عينَه رَمِدت رمداً شديداً إثر الحادث وقال الطبيب: إنها تُشفى قريبا بإذن الله . هذا كل ما في ذهن زملائه. وقلتُ أيضاً: دَعهُ يَحضُر ولا عَليكَ من اللَّمسات الإنسانية والتربوية.

اتَّفقتُ مَعَ الأستاذ أسامة على أن نُرحِّب بماجد وَنقدِّمه على أنه شُفيت عيناهُ تماماً وكانَ ذلك. ولكي أُثبت للطلاب شفاء عين زميلهم بالكلِّية فقد هداني الله سبحانه وتعالى لفكرة نافعة .لقد قمت في أحدِ الدُّروس بكتابةِ كَلمةٍ على السَّبورة بِخطٍّ صغيرٍ يكادُ لا يكاد يُرى وقُلتُ: من يَقرأُ هذه الكلمة؟ فَتسابَقتِ الأصابع تَتسامى فوقَ بعضها بعضاً ولَربَّما لامَست إحداها أهدابَ عيني، لكن دون جدوى لقد قرؤوها بِشكلٍ خاطئ. بَقيَ ماجد يَرفَعُ أُصبعه بأدبٍ جَمٍّ وقَرأها قِراءةً صحيحةً. عندها زالَ الشَّك الذي ربما يُداعِبُ أخيلة الزملاء باحتمالِ ضَعفِ الرُّؤيا عند زميلهم، وتَعزَّز ماجدٌ وازدادت ثقتُه بِنفسه. وَطَفقنا نَتعاهَد هذه الغَرسة النديَّة بالرعاية حتى استَوت على سُوقِها .

ماجدٌ الآن في الصفِّ السادسِ الابتدائي ومن الأوائل، والجديرُ بالذِّكر أن جميع زملاء ماجد لا يعرفون حتى الآن أنَّ ماجداً فَقَدَ إحدى كريمتيه.

الرياض ١٤٢٥ هـ

الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبن

انتهت المباراةُ قبلَ الأخيرةِ في نِطاق دوري المدرسة الابتدائية بالتعادل بهدفٍ لهدف حيث كان ملعب المدرسة يلتهبُ بالتشجيع والتحيات، وكانت عيون الطلاب تفيض بالفرح وأذهانهم متعلقة ومشدودة فهذا يوجِّه، وذاك يحثُّ زميله وآخر تدفعُه الحميَّةُ للنزول إلى الملعب على مبدأ «إذا جُنَّ رفاقك فلن يفيدك عقلك». وبعض الطلاب يحمل أوراقاً كرتونية كتب عليها «يعيش الصف الخامس» و أخرى كتب عليها «بالطول بالعرض سادس تحت الأرض» إلى ما هنالك من العبارات الرياضية التي تضطرني لإلقاء محاضرة توجيهية عقب كل مباراة.

التفَّ التلاميذُ حولَ أعضاءِ الفريقين التفافَ الفراشات حولَ الزهر والنحل حول الرحيق واللاعبون يَعيشونَ أمتعَ اللحظات وهم يتلقّون نظراتِ الإعجاب وعبارات الغِبْطة من زملائهم وقد أخذتني الحميَّة وباركتُ لعبد العزيز إحرازَه الهدفَ الجميل الذي حقَّق بواسطته التعادلَ وقلت له: أنت لاعبٌ ذكيٌّ ونشيط و أريدُك أن تكون كذلك في دروسك فأجابَ بفرحة غامرة: إن شاء الله يا أستاذ.

دخل الطلابُ إلى الفصول ورحتُ أتجوَّل في ممرات المدرسة لتقع عيني على معلم وقد أطلَقَ

ساقيه للريح يطاردُ طالباً ونافذةُ الفصل الذي خرج منه الطارد والمطرود ضاقت ذرعاً برؤوس الطلاب، وبدَوا كالعصافير وقد أخرجن رؤوسهن من العش. غيَّرتُ وِجهتي لأستقبل الطالب من الجهة المعاكسة للممر فارتمى الطالب بين يدي مذعوراً،وشعر المعلمُ بالحرج الشديد عندما رأيته في موقف لم أكن أتوقع رؤيته في مدرسة. فقال المعلم بِغضب: تصوَّر يا أستاذ هذا طالب ينقصه الكثير من التهذيب. كيف يقول لي انقَلع ؟. فانفجر الطالب بالكلام قائلاً: يا أستاذ والله العظيم، هو قال لي: انقلع، ودفعني باتجاه المقعد بمجرد أنني قلت له:كم تاريخ اليوم ؟ فقلت:يا بني المعلم مثل أخيك الأكبر وبمقام والدك في المدرسة ينبغي أن تحترمَه وألا تجادله.فقلت: اعتذر من المعلم، فاعتذر الطالب الملحوق، وقبَّلَ رأسَ معلمه . عندئذ سامحه المعلم وانتهت المطاردة المثيرة إلى حُبٍّ وصفاء.

وفي حصة فراغ المعلم جلستُ معه وقلت له يا أستاذ: حدَّثني أحدُ مديري المدارس أنه بينما كان يتمشّى في ساحة المدرسة رأى طالبا مجداً فناداه وأراد أن يُلاطفه وقال له: مرحباً يا عبّودي، فردَّ عليه الطالب أهلين يا «حمودي» وكان اسم المدير محمداً.

وأنت تعلم أن المزاح يُذهب الهيبة، ويذيبُ الاحترام فالتلاميذ يحسُنُ معهم التعامل الجادُّ القائم على المحبة والاحترام وليس على التفريط في المدح والمزاح.رَحَّبَ زميلي المعلم بما قلته له وشعر أنَّه أوقع نفسه في مأزق محرج لا ينسجم مع عالم التربية، وقبل أن يمضي قال: هل رآني أحد غيرك ؟ قلتُ: لا عليك حتى لو رآك المدير أو أمين السِّر فأنا أبَيِّنُ الموقف وأنت معلم فاضل نعتزُّ بوجوده معنا، ولا يُحكَمُ على معلم أو طالب من خلال زلَّة أو هفوة، وختمتُ حديثي قائلاً: أرجو ألا تناقش الطالب في الموقف وأن تترفَّع عن ذلك. دخلتُ إلى حصَّتي في الصف الثاني المتوسط وإذا بالطالب يرقبني من خلال نافذة مستودع الكتب، ولم يجرُؤ على الدخول خشيةَ أن يعاقبَه المعلم. ناديتُه،وبيَّنت له أنه أخطأ مع معلمه، وأخذتُ عليه العهود والمواثيق الغليظة بعدم تكرار ذلك، شعر الطالبُ بالندم الشديد. اصطحبته إلى الفصل وطلب الصَّفح من معلمه وتحوَّل الغبار الذي نشأ بين المعلم والطالب إلى صفاءٍ وعبق زهر ومحبة كبيرة.

سوريا. حلب ١٩٩٨م

الطالب الأمين

في صباحِ كُلِّ أربعاءٍ – ومعَ بدايَةِ الاصطفافِ الصَّباحي- مَوعِدٌ مع التشجيعِ، ووليمةٌ دسِمةٌ من جميعِ أنواع الألعاب تُوزَّع على الفائزين بالجوائزِ القيِّمة،كجائزَة الطَّالب النَّظيف ، والطَّالب الأمينِ، والطالبِ الخاشعِ في الصَّلاة، وأكثر الطلاب استعارةً للكُتُب وغيرها، نُحاولُ بذلك تأصيلَ المبادئ السَّامية والنبيلةِ وتعميقَها في نُفوس النَّشءِ .

في صباح يومِ الأربعاء هممٌ تعلو، وجُروحٌ تُضمَّد، ونُفوسٌ تسمو، وأخرى تُعالَج. وَفيهِ أيضاً ابتساماتٌ تُلوِّنُ الشِّفاهَ، وسعادةٌ تغمُرُ الوجوهَ، ودفءٌ تَنبِضُ بِهِ القُلوب.

وكثيراً ما يَتَحيَّنُ بعضُ الطلاب خروجي إلى الساحة ليرمُوا بقايا أشيائِهم في المكان الذي ينبغي أن تُرمى فيه حِرصاً منهم لكي أراهم، و أُدوِّنَ أسماءَهم لنَيلِ جائزةِ الطالب النظيف. وهكذا دواليك. وكنتُ أسعَدُ جداً بِمحاولات الأبرياء لنيلِ هذه الجوائز.

دَخَل مشاري مكتبي يحملُ في يده ريالاً وقال: أستاذ ، أستاذ ، وَجدتُ ريالاً، قُلتُ: شُكراً لك يا بُنيَّ، ولكن أين وجدتَ الرِّيال؟ قال: في السَّاحة. قُلتُ: في أي مكانٍ في السَّاحة ؟ ارتَبَك مشاري واضطربَ وكان يظُنُّ أن الأمر سينتهي في اللحظة التي يضعُ فيها الريال في صندوق الأمانات، وفي اللحظة التي أوثِّقُ فيها اسمَه وفصلَه. حاول أن يُلوِّن أحاسيسَه وملامحَهُ بصِدقِ عباراتهِ إلا أنَّ شفافيَةَ نفسِهِ ونَقاءَ فطرتِهِ كشفتا الخُدعَةَ النَّبيلةَ، والمسرحيَّةَ الطيِّبة التي رامَ تمثيلَها. قُلت:على كُلٍّ ستنالُ جائزةَ الطالبِ الأمين يومَ الأربعاء المُقبل إن شاء الله وقبلَ أن تصلَ ابتسامتُهُ إلى شاطئ السَّلامة، قُوطِعَت بأداة الاستدراك ' لكنْ ' التي فاجَأتْهُ بها.

ظَهَرت على مُحيَّاهُ علاماتُ التوجُّسِ والقَلق حينما قُلتُ له: ولكن خُذ الريال وأجابَ دَهِشاً: لماذا يا أستاذ ؟ قلت: يا بُنَيَّ أنت أخرجْتَ الريالَ من جيبك أليسَ كذلك ؟ أطرقَ برأسِهِ، ثم قالَ خَجلاً: بلى ،وطفِقتُ أحاورُهُ حتى انتزعتُ منه ما أريد. لَقد باحَ لي بِكُلِّ ما يُلجلجُ في داخله وقال: أنا لست محظوظاً أبداً لأنني لا أجدُ شيئاً ضائعاً، وفي الأسبوعِ الماضي اشترت لي أمي حُلَّةً جَديدةً، ولبستُها على أملِ أن أنالَ جائزةَ الطالب النظيف لكنَّك لم تنتبه لي ،كذلك لم ينتبه معلمي لذلك.

قُلتُ: يا بُنيَّ، إذا فَقَدَ أحدُ زملائكَ شيئاً فهل بالضرورةِ أن تجدَه أنت ؟ قال: لا، ربما يجدُه غيري.قُلتُ:إذاً ليس المهمُّ إيجاد الأشياء الضائعة بل إعادتها إلى أصحابها.

على كل حال لو وجدتَ أيَّ شيءٍ في الساحة أو في الفصل فأحضِرْهُ إليَّ. أجاب: أنا دائماً أجدُ جدولَ أستاذِ التربيةِ البدنيَّةِ في ساحةِ الملعب، هل تُعطيني جائزة إذا أحضرته لك؟ قلتُ :نعم .

خَرجَ مشاري من المكتب، وقد علَّمني درساً عظيماً في لغةِ المشاعر ومحاكاة الأحاسيس. لقد أحسستُ بالذنب عندما راجعتُ سِجلَّ الطلاب الفائزين بالجوائز فلم أجد له اسماً. فأين أنا عنه طوال العام الدراسي ؟

جاء يومُ الأربعاء الموعود وكان يوما مشمساً لطيف الجوِّ، وانتَصَبت المنصَدةُ تتَزيَّنُ بأنواعِ الهدايا والألعاب الحُمرِ والصُّفر والبنفسجية. وما إن أعلنتُ اسمَه على الملأ حتى شَقَّ الصفوفَ وأقبلَ على المسرح كالصَّقر. وعندما سلَّمتُه الهديَّة أحسستُ أنه أسعدُ إنسان على وَجهِ الأرض، أخذ يَشدُّ على يدي. حينما صافحتُهُ مباركاً ـــ بيدٍ مملوءة بالدفء.ولم يدَعْ والدُهُ، الذي حضرَ معه، هذا الموقفَ يضيعُ، فقد حفِظه ووثَّقه بصورٍ التقطَها لتبقَى لولده ذكرى عبقة.

رنَّ جَرسُ الحِصَّةِ الأولى، واندفعَ الطلاب نحو الفصول، فأقبلَ صاحبُ الجائزة ووالدُهُ يشكران للمدرسة هذهِ الهمسة الحانية، و طلبَ الأبُ الإذنَ لولده ليمضي معه، لأنَّه لم يَنَم طوالَ الليل لشِدَّةِ فَرَحِهِ بما سيكونُ غداً.لقد استيقظتْ أمُّهُ في الساعة الثانية عشرة وإذا بهِ يلبَس ثوبَ العيد، ثم استيقظت مرة أخرى وقت السَّحر، فرأتهُ يضع المصوّرة في حقيبته. لقد تعِب حقاً من الشوق و الفرَح، ما أجملَ أن يتعب الإنسان من الفرح !!

مضى مشاري مع والده يعيش لحظات الانتصار، ويتلذَّذُ بطعم الحنان، ويَستافُ رائحةَ الأبُوَّة التي فاحَ أريجُها منذ الصَّباحِ الباكر تملأ نفسه أملاً ونوراً.

الرياض. ١٤٢٤هـ

العقل السليم في الجسم السليم

مع رنين جرسِ الفسحة الأولى في كلِّ مدرسة ابتدائية، يطيرُ الصغارُ من أقفاصهم فرحين جذلانين، ينفُضُون عن أجنحتهم غبارَ الفُتورِ وثُمالةَ الكرى، وينغَمسون في جوٍّ صاخِبٍ ومُبهج في آن معاً، وإذا ما أجَلْتَ الطَّرف فإنك سَرعانَ ما تلحظُ نوادرَ مضحكة ومواقفَ عفْوِيَّةً رائعةً تَصدُرُ منهم.فهذا يفتحُ العصير بأسنانه، وذاك يعَضُّ الورقَ الذي يغلِّف الخبزةَ المحشوَّة بالفلافل أو البيض وغيره. ومجموعة منهم اتَّفقُوا على الأكل معاً،وكلٌّ وضعَ أشياءَه أمامه وتجدُ كلَّ واحدٍ منهم قد بدأ يُغري زملاءه بتذوّق ماعندَه من الطعام وسْط أريحية محبَّبة وروحٍ من الجُود عالية.

إن للفسحة لسحراً عجيباً في المدرسة فكل ماتراه عينُك تشتهيه، وكل ما تَشَمُّه لذيذٌ يشهّيك.وها هو نواف ما فتىء يعبِّرُ عن مشاعره عن الروائح التي يشَمُّها. فيقول رائحةُ خيارٍ.ها.. ها.. رائحةُ تفاح. هذه التعبيرات يطلِقها نواف داخلَ الحصَّة الدرسية أيضاً بِطيبَةٍ فريدة وبراءة مُحببة.وذاك عمر يُحبُّ المبادلة مع زملائه لأنه يظنُّ أنَّ مافي حافظةِ طعام زملائه أشهى وألذُّ بكثير من طعامه الذي معه.

وبينما كنت أتجوَّل كعادتي في الفسحة أرقُبُ فرحَ الصغار وقعت عيني على فيصل وقد ضاقت كلتا يديه ذرعاً بأكياس شرائح البطاطا (البطاطس). استوقفتُه وسألتُه:لمَ اشتريتَ كل هذه الأكياس ؟ أجاب: أحبُّ البطاطس كثيراً. فقلتُ: لا بأس ولكن الإكثار منها مُضرٌّ بِصحَّتك. فقال: أنا آكل منها دائماً لكنني لم أمرَض. فقلتُ: مضارُّ البطاطس قد لا تظهر مباشرةً ولكن ربما تستيقظ ذات يومٍ لتجدَ نفسك في المستشفى تعاني من آلام في البطن. بالإضافة إلى أن البطاطس تملأ معدتَك وإذا ما ذهبت إلى البيت فإنك لا تستطيع الأكلَ الذي ينبغي أن تأكلَه ليبقى جسمُك قويا نشيطاً. انظر إلى نفسك فأنت نحيفُ أليس كذلك ؟ بلى يا أستاذ. ولأنك نحيف لن تكون بطلاً و لن تقذفَ الكرة بقوة تمكِّنها من هزِّ شباك المرمى.

استجابَ فيصلُ وأعاد ستّةَ أكياس إلى المَقْصِف، واكتفى بالتهام اثنين منها. وعندما ذهب إلى البيت أقبلَ على وجبة الغداء بشهيَّة ونهمٍ غير معهودين. وعندما سأله والدُه.

ألم تتناول إفطارك اليوم في المدرسة ؟ أجابه: بلى. ولكنني لم آكل البطاطس التي اعتدت أكلَها كل يوم. لقد شاهدني وكيل المدرسة في الفسحة، وأقنعني بأن أردَّ البطاطس إلى المقْصِف، وسَمَحَ لي بأكل اثنين فقط، وقال: ينبغي أن أعوِّد نفسي الإقلاعَ عن أكل البطاطس بالكلية وأستبدلُ بها أكلَ البيضِ المسلوق والحليب لأنهما يقوّيان العظام والعضلات والأسنان.

في اليوم الثاني كان فيصل يحملُ لِفافةً من الخبز بيَدٍ وعُلبةَ حليبٍ باليد الأخرى، استعرضَني لأوّل مرّة، ولكنني لم أنتَبه له لانشغالي بتوجيه زميله عبد العزيز الذي دَهس أحدُ الطلاب لعبتَه الثمينة التي أحضرها من المنزل علماً بأنني نبَّهتُه غيرَ مرَّة على أنَّ ألعاب المنزل لا ينبغي أن يُحضرها الطلاب إلى المدرسة. استعرضني فيصل ثانيةً، فتذكَّرت على الفور ما حدثَ بيني وبينَه في اليوم المنصرم. فقلت له: أنت طالب ممتاز يافيصل، سأقدِّم لك هديةً في الغد على مرأى من جميع طلاب المدرسة لأنك استَجَبْتَ لِنصائِحِي، وأنت تعلم يافيصل أن كلَّ تعليمات المعلمين وتوجيهاتهم إنما هي في صَلاح الطالب وإنما تؤصِّل مفاهيمَ الخير وتُعمِّقُ حُبَّ الفضيلة في النفوس.

وفي كلِّ يومٍ يراني فيه فيصلُ كان يَسعَدُ بشكري له على عاداته الصحيَّة في الأكل وكأنه اعتادَ أن يَرشُفَ بعض همَسات الحنان والتشجيع من خلال كلماتي التي ربما تكفُل له إنعاشاً وسعادة طوال اليوم، وترسمُ على شفتيه ابتسامةً تدفعُ عنه الملل والخمول.

وفي اجتماع أولياء الأمور . جاء أبو فيصل يُحدِّثني عن سعادته بإقلاع ولده عن أكل البطاطس، وشكر للجميع اهتمامهم بغذاء الطلاب. فقلت له: ألا تسمع بالحكمة التي تقول: ((العقل السليم في الجسم السليم)).

الرياض . ١٤٢٥هـ

كأس الطالب المثالي

حديثٌ يُشَنِّفُ الآذانَ لروعته وسِحره، وزهرةٌ يُعَطِّرُ شذا عَبيرِها الجميعَ. وسِامٌ يحظى بِهِ أصحابُ الأذهانِ المُبدِعَة، وعِقدٌ تَتَقَلَّدُه القاماتُ المُضَمَّخةُ بِطيبِ العَبقريَّة وأُنسِ الأدب ولِينِ العريكَة وحُسنِ المعاملة واحترامِ الآخَر .الحلُمُ الكبير الذي يُداعِبُ خَيالَ كلِّ طالِبٍ بالحُصولِ عليه . ما هُوَ ؟ وما هِيَ ؟ إنَّهُ كَأسُ الطَّالِبِ المِثالِيِّ . وإنَّها المعاييرُ والمزايا السالفة الذِّكر التي تُخَوِّلُ من يَمتلكها الحصولَ على الكأس الغالية .

إنَّ مَأدُبة يومِ الأربعاء في مدارس العليا الأهلية أشبَهُ برحيقِ الزَّهر وقد التَفَّت عليه الفراشات وتكاثرت عليه جيوشُ النَّحل كل واحدةٍ يحدُوها الأمل بِنيل نَصيبٍ من الرَّحيق حتى إذا ما تطايَرَ الرَّحيق على أفواه الفراش والنَّحل المُبَكِّر عادَت الأخرَياتُ تَنسُجُ آمالاً جديدةً بِخيوطِ الدَّأب وأحاسيس الجِدّ.

كانَ المُرَشَّحُ لهذا الأسبوع طالباً أجمَعَ معلموه والمُرشِدُ الطُّلَّابِيُّ أيضاً على تَرشيحِه لِنيلِ الجَّائزة.علماً بأنَّ هذا الطالب يستحقُّ الكأس مُذ كانَ في الصفِّ الخامس ولكنني كنت أحاول الحصول على مكاسب دراسية وعمليَّة منه لما لمستُ فيه من استجابةٍ محببة

obeikandi.com

ولين جانبٍ ودماثة خلق.

رنَّ جرسُ الانصراف ليوم الأحد وقد خَبَّأ في جَعبَته خَبَرَ الإجماع على استحقاقِ محمدٍ لكأس الطالب المثالي. في اليوم الثاني أخبرتُه بأن جائزةً تنتظرُه على مائدةِ جوائزِ يوم الأربعاء دون أن أخبره بنوع الجائزة واتصلتُ بذوي الطالب لكي يهيؤوا ولدَهم من حيثُ الحضورُ المبكرُ وتوثيقُ الحدثِ النادر والمثير وطلبتُ منهم عدمَ إخبارِ ولدهم بأن الجائزة هي كأس الطالب المثالي لكي لا تتلاشى النشوة التي يشعر بها وهو يتسلم الكأس على رؤوس الأشهاد وسْطَ إعجاب وتصفيق أكثر من أربع مئة وخمسين طالباً.

في يومِ الثلاثاء الذي يسبقُ اليومَ الموعود. وبعد صلاةِ الظهر استَأذَنني محمد بالدخول فأذنتُ له، فجلس، وعلَت محيَّاهُ علامات الخجل والتردُّد . وعندما سألتهُ عن سببِ ارتباكه . قال: هل الجائزة هي كأس الطالب المثالي ؟ قلت : هَبْ أنها هي . هل عندك مانع ؟ وأراك لستَ متحمِّساً يا محمد. فأجاب: هناك طالبان من فصلنا يستحقَّانها قبلي هما معتز وعبد الإله؛ كلاهما أفضل مني علمياً فقلت: ليس الحصول على الكأس مشروطاً بالتفوُّق الدراسي فحسب بل هناك معايير كثيرة أنت تعرفها كاحترام المعلمين والمحافظة على مرافق المدرسة والحرص على تنفيذ الواجبات وزيارة المكتبة والنزول إلى المصلى بوقار و.....الخ.

ختَمَ محمدٌ حديثَه بأنَّه لا يستحق الكأس في هذا الوقت وربما بذلَ جهداً أكبر في الاختبارات القادمة ليناله بجدارة على حسب تقديره. خرجَ محمد من مكتبي وأحسستُ أنني تعلمت منه درساً عظيماً في الإيثار ونكران الذات وحبِّ الآخرين وهو لمَّا يتجاوز الاثني عشر ربيعاً من العمر بعد.

وفي مساء اليوم نفسه أخبر محمدٌ والديه بما كان قد أخبرني به فثمَّنا له هذا الموقف، وشجَّعاه على محبته لزملائه، واشتريا له هدية جميلة وفي اليوم الثاني حَصل طالب آخر على الكأس، وصفَّق له جميع من في ساحة المدرسة وبعد الانتهاء من مراسم توزيع الجوائز على الطلاب الأمناء والنظيفين وغيرهم أحسست أن الكأس التي ينبغي أن تقدَّم لمحمد أسمى وأثمن بكثير من الكأس المعدنية التي نعطيها للأبناء. لأنَّ

obeikandl.com

الكأس التي ينبغي أن تُقدَّمَ لمحمد كأس فريدةٌ صنع النحلُ شهدها ونسجَ الوردُ عطرها وأبدعت البلابلُ صوتها والنبلُ طلاها والربيع زيَّنها والجدولُ روَّاها وسقاها.

جاءت اختبارات منتصف الفصل الدراسي، وخاض محمدٌ غمارها بنجاح وأحرز تقدماً كبيراً ورفعت يداهُ الكأس عالياً لتصفقَ له أكفُّ الأطفال الطريَّة وتبتسمَ له ثغورُهم البريئة كانوا ينظرون إليه والسعادة تنداح من عيونهم الصادقة.هذه هي زهرة من بستان الإنسانية أنعشني أريجها وأثلج صدري نضجها وتفتحها، وها أنذا أرسمها على صدر هذه الصفحة حروفاً شذية تُسعد كل من يقرؤها وكلّ صاحب قلب.

الرياض ١٤٢٦هـ

جائزة الطالب المواظب

الكلامُ الجَميل يفتَحُ مغاليقَ الأبواب، ومصاريعَ الحديد . الكلامُ الجميل لا يحتاج إلى واسطة لكي يلجَ القلوبَ أو يرتَقي صَهوَةَ النفس فهو واسطةُ نفسِه، وعطره من صنع زهوره، وفوحهُ أثر من آثار جمالِه وَروعته. وإذا ما ذُكر الكلام الجميل اقترنَ- لا محالةَ- به التشجيع . أو ليس التشجيع . يا ترى . كلاماً جميلاً ؟!!

وماذا لو كان هذا الكلام الطيب موجهاً إلى نفس طفل بريء- وهو الذي يفتح مغاليق الأبواب - ؟! لاشكَّ أنه سيستحوذُ عليه بالكليَّةِ وتصبح نفسه أسيرةً له . وتصبح كقاربٍ توجِّهه عصا المجداف إلى الشاطئ الذي تريد.

في صباح أحد الأيام من العام الدراسي ١٤٢٢ هـ تنادى طلابُ الصف الثالث الابتدائي قائلين: إن زميلهم ((مضر)) مريضٌ جداً. فهُرعتُ إلى المكتب ظناً مني أنَّ المذكورَ قد قذفهُ مجداف القدر على أحد أعمدةِ الساحة الأسمنتيَّة فصرعتهُ. وعندما وقعت عيناي على مضر مسجىً على الأريكة . ويكاد دمه القاني يَغلي من أُوارِ الحرارة التي تتأجَّجُ في ثنايا عروقه وجنَبات جسده الغض .

اقتربتُ منه ووضعْتُ يدي على رأسه، لقد أحسستُ بأن يدي لم تعُد قادرةً على تحمُّل

obeikandl.com

الحرارة الشديدة.كان مضر يبتسمُ لمشرف المرحلة على الرغم من كلٍّ ما به. قلتُ له : لماذا أتيت إلى المدرسة وأنت على هذه الحال ؟ وهل أخذك أبوك إلى الطبيب ؟ قال مضر : أنا عندي التهاب في اللوزتين ، وكيس الدواء في الحقيبة . انتزعت رزمةً من المناديل وبلّلتها بالماء ووضعتها على جبين مضر علّها تخفّفُ عنه بعضَ الشيء. بدأ جسمه المنهك يتمَلمَلُ على صدر الأريكة يريدُ أن يهمَّ بالقيام لحضور الحصة الأولى استجابةً للجرس.

فقلتُ: أنت مريض وينبغي أن تستريح. فأجابني قائلاً : سأذهب إلى الفصل، عندنا تسميع قرآن. لم أسمح لمضر بحضور الحصة لكي أُبقيه تحت ناظريَّ. وهدأ روعُه عندما قلت له: سأطلب من المعلم أن يُسَمِّع لك ما حفظتَه في الفسحة الأولى.

لقد أكبرتُ موقفه المشرِّف وحرصه النبيل على حضوره إلى المدرسة وهو على هذه الحال . إلا أن سؤالاً ما انفكَّ يكتبُ نفسه أمام عيني ألا وهو : أين أبو مضر وأمه منه ؟ كيف يرسِلانِه إلى المدرسة وحرارتُه تراوحُ بين التاسعة والثلاثين والأربعين إلا قليلاً ؟

فتحتُ ملَفَّ الطالب وأخرجتُ رقم هاتفِ عملِ وليِّ أمره، وعندما سألته عن سبب إرساله ولده وهو على تلك الحال، فاجأني بقوله: إن ولده لا يريد أن يغيب لكي يحظى بجائزة المواظبة التي لا ينالها إلا أولئك الذين لا يتغيَّبون عن المدرسة تحت أي ظرف ولكنني أبلغتُ شقيقه الأكبر أن يُبلغك بأمر أخيه لكي تبقيه تحت رِقابتك . ألم يُخبرك ؟قلت: لا عليك . ربما جاء ولم يَجدني في المكتب. لقد كبُر مُضر في عيني كثيراً. وقلت لوالده: على العموم أرجو أن تأتي لتأخذَ مضر معك لأنه بحاجة إلى الراحة وسأطمئنه بأنه لن يُعدَّ من الغائبين . إن قدومه إلى المدرسة وهو على هذه الحال يستحق لأجله أغلى الجوائز وأثمنها لأنه إحساسٌ يفوقُ التقدير وشعورٌ يتجاوزُ حدودَ الجمال ومدى الروعة.

توالت الأيام ، وشفي مضر ، وانتهى العام الدراسي . وحصل على جائزة المواظبة . وتقلَّد وسام المرتبة الأولى على فصله .

الرياض ١٤٢٥هـ

حلم التفوّق

بُعيدَ انتهاء الاختبارات بأيامٍ قليلة يتسلَّم التلاميذُ شهاداتهم ويقطفون ثمرةَ جهدهم، فَيسعَدُ المتفوّقون بثناءِ معلميهم، وبِفرح والديهم،وفي المقابل تجدُ المقصرين يرمقون زملاءهم بنظراتٍ كسيرةٍ وكأنهم جنود مهزومون في ساحة الوغى.

وفي صباحِ اليوم الذي تُوَزَّعُ فيه الشهادات يكون لي كلمة أستحضِرُ فيها كل عبارات الأمل وكنايات الفرح والتشجيع، لتنتثِرَ منها الحروف على مِسمَع المتفوقين انتثار الرذاذ على الأقاحي العِطاش، وتنطلقَ منها الكلمات لترتمي في سويداء القلوب ارتماءَ العصفور الهارب من البرد في حِضن عشه.

انتهت الكلمةُ، ودخلَ التلاميذُ إلى صفوفهم وبقيت الحروفُ تسكن في ذواتهم سكنى العبير لأوراق الزهر، فما تلبث أن تفوحَ لكلِّ نسمةِ صَبا فتُحرِّك ابتساماتهم وتهزَّ مشاعر رضاهم بين الفينة والأخرى دخل الطلاب فريقين، فأمّا الأول فَشلالٌ يتصبَّب ويهدر وأغصان تتروى وتثمر، وأما الفريق الثاني فَعزيمةٌ تخور وأوراقٌ خريفيّة صفراءُ تتساقط من شجرة.

وفي مساءِ العُرس هاتفتني أم طالبٍ في مدرستنا فقالت: يا أستاذ هل تذكر نسبة ولدي في الاختبارات المنصرمة ؟ فقلتُ: لا أذكر تماماً ولكنها تراوح بين التسعين والحادي والتسعين بالمئة. فقالت : جاءني محمود بِنسبةٍ تسعة وتسعين بالمئة ونصف . فقلت: هذا غير ممكن. فقالت: هل من عادتكم أن تكتبوا نسب الطلاب بالقلم العادي أو تصححوها ؟ فقلت: الحاسوب يطبع الشهادة جاهزة . فقالت : إذاً من كتب له بالقلم؟ فقلتُ : صاحبُ القلم . على العموم، لا عليك أنا سأعالجُ هذا التصرُّف بعد أن أقفَ على دقائقه وأبعاده.

في صباح اليوم الثاني حضر محمود وخرجَ إلى الفسحة الأولى وتناول فَطوره وفي منتصف الفسحة ناديته، وطلبت منه أن يحضرَ الشَّهادة.نظرتُ إلى شهادته فسألته: كم نسبتُكَ يا محمود؟ فأجاب: تسع وتسعون ونصف بالمئة فقلت : رائعٌ يا بني . هل تذكر اسم الطالب الذي نال المركز الأول على جميع الفصول؟ فقال نعم إنه علي . فقلتُ: وكم نسبته ؟ فقال: لا أدري. فقلت: لكن أنا أدري: نسبته تسع وتسعون فقط.فقلتُ:إذا أنت الأول. ومن طمس النسبة وكتبها لك بالقلم من جديد ؟

ارتبك محمود وتعثَّرت كلماته وقال: يا أستاذ أنا الذي طمس وكتب. لماذا يا بني؟ قال: يا أستاذ تمنيت أن أكون من المتفوقين الذين مدحتهم وأثنيتَ عليهم في الطابور الصباحي، وأردتُ أن أفرِّح أمي التي تتمنى دائماً أن أكون من الأوائل. فقلت: يا بني التفوُّق إنما يكون ثمرةً للجِدِّ والإكباب على الدراسة وتنظيم الوقت بالنوم المبكر وعدم الإفراط بمشاهدة الرائي،و أنت بفعلتك هذه تحاول تزويرَ الحقيقة وهذا أمر خطيرٌ يا بني وعادةٌ ذميمة. تألَّمَ محمود كثيراً وانهالت الدمعاتُ من عينيه . عندها قلتُ له: اذهب إلى مُدخلِ البيانات ليسلمَك شهادة حقيقية. وبعد هنيهةٍ عادَ يحملُ الحقيقةَ بين يديه. فقلت له يا بني : إن حبلَ الكذب قصير يُسعدكُ لحظةً ولكنه يَجرُّ عليك ألماً كثيراً بالإضافة إلى مخالفتك لتعاليم الإسلام التي تُغضبُ الخالق عزَّ وجل.فأنت يا محمود متفوقٌ بالأدب واحترام المعلمين والمشاركة المتميزة في الأنشطة.

خَرَجَ محمود بعد أن أمضى قرابة سويعةٍ لم يكن ليتوقَّعها، تألَّمَ وأُحرِجَ ولكنه في الوقت نفسه خرجَ من مكتبي وقد أسكنَ في قلبه قيمةً نبيلةً ألا وهي الصدق ومواجهة الواقع، ونفضَ عن فؤاده غبار الكذب والمخادعة.

مَرَّت شهورٌ عدةٌ وشجرةُ الأدب والهدوء تنمو في نفسه وتكبُرُ وتكبر إلى أن تسلَّم كأس الطالب المثالي على مرأى الطلاب المتفوقين والمدرسين.

الرياض ١٤٢٧ هـ

أريجُ السَّخاء في نفوس الأبناء

المدرسةُ الابتدائية هي في الجملةِ صورةٌ جميلةٌ في ساحة الكون، وثغرٌ باسمٌ في وجه الحياة، تَعُجُّ بِعَفَوِيَّةِ ساكنيها من فِلَذات الأكباد وثمرات القلوب، وتلقائيَّة تصرُّفاتهم وبراءة رُدود أفعالهم وانسياب فرحهم الذي يترقرقُ ترقرُقَ النهر في الأرض المستوية .كما أن الأطفال في المدرسة كالزهور في البستان فَلكُل زهرة عبيرٌ يميزُها من غيرها وشكل تتفرَّدُ به وطِباعٌ تجعلها تختلِف عن مثيلاتها فأمّا الجوريَّة منها فذات رُواءٍ أخَّاذ بيدَ أنَّها تحتاج إلى دِرايَة ورِفْق في التعامل مع زهورها، وأمّا القرنفلة فهي طيِّبة الرائحة جميلةُ المنظر لكنَّها صعبة المِراس بِقوة ساقها بالمقارنةِ برقة أوراقها ورائحتها الشذيَّة، وهكذا التلاميذ في المدرسة فِلكل واحدٍ منهم سماتٌ شخصية وخصائص تميِّزه عن غيره، وهذا ما يسمِّيه التربويُّون الفروق الفردية .

وأما الفسحة فهي عُرس الطلاب يطلقون فيها لأنفسهم العنان يسرَحون ويمرحون ويتمنَّون أن تتطاولَ بهم دقائق الفسحة لِيرشُفوا من معينها كؤوسَ الفرح، ويستافُوا من رياضِها رائحةَ الأُنْس والدَّعَة .بينما كنت أتجوَّل في إحدى الفُسح وقعت عيني على عبد الرحمن وزميله يعدَّان النقود كتاجرين يتقاسمان ربحَ صفقةٍ تجارية، اقتربتُ منهما، وسألتهما عن قصة هذه الريالات الكثيرة فقال عبد الرحمن: اقترحت أنا وصديقي أن نُشكِّل جمعيةً خيرية في الفصل وهانحن جمَعنا من كلِّ طالب مازادَ على مصروفه. فقلتُ: حسناً وأين ستُنفِقون فُضولَ أموالكم ؟ فقال : الطالب الذي لا يحضر مصروفه اليومي أو ينسى نقوده في المنزل، أو يضيِّعَها نعطيه ما يحتاجه من نقودِ الجمعيَّة.

شكرتُ الطالبين وأثنيتُ عليهما وكدتُ أقبِّلهما، لقد أحسستُ بالاطمئنان والسعادة، وأحسست أن نسمةً معطَّرة قد ملأت صدري، وأنَّ رحمةً تَنَزَّلت على ساحة المدرسة وهي تشهدُ موقفاً تَطربُ لسماعه آذانُ الخير وتغرِّدُ لهُ طيورُ المحبَّة وتَضمُّه أفئدةُ الإيثار وتصفِّق له أجنحةُ الحمام.كان موقفاً أشبه بقاربٍ في عُرضِ البحر يحملُ غريقاً إلى شط الأمان، ويدٍ لَملَمَت لُبدَ عُشٍّ نثرَت الريحُ أركانَه الطريَّة وخيوطه المتماسكة.

في اليوم التالي ناديتُ الأبناء من جديد وشكرتهما وبَيَّنت لهما فضلَ حُبِّ الخير والتَّعاون.فتدخَّل عبد الرحمن قائلاً: أستاذ، نحن نريدُ أن نساعدَ المُعوَّقين

بالمبلغ الذي يزيدُ عن حاجةِ زملائنا.فقلت: هذه فكرة نبيلة وهذا يدلُّ، يا أبنائي، على طيب نفوسكم ونبلِ سجاياكم وفقكم الله، وبارك فيكم اعتبروني من هذه اللحظة عضواً في جمعيَّتِكم المباركة وتقبَّلوا مني هذا المبلغ. سُرَّ الأعضاء بمشاركتي إياهم كثيراً، وتشجَّعوا كثيراً،وقَويت شوكتهم، وراحوا يُعلنون النَّبأ على الملأ. هذا الأمر حدا زملاءَهم من الفصول الأخرى على المجيء إليَّ وكلهم يُريد تنفيذَ الفكرة فقلتُ: رويدَكم يا أبنائي، دعونا أولاً نُجرِّب جمعية عبد الرحمن ومن بعدها أبشروا بالموافقة، وسأساعدكم في تنظيم جمعياتكم المباركة.

الرياض / ١٤٢٦هـ

obeikandl.com

مفاجأةُ الإجازة

غابَت شمسُ أيامِ الأسبوعِ السَّادس الجميلة، وحَطَّت رِحالها في حِضن الماضي، وَتوارت خَلفَ رَبَواته، لِيَلفَّها ذراع الذكريات الحاني، ويُعَطِّرها بِعبَق الحنين، وَيُضمِّخها بشذا عبير لحظاتِ السَّعادة وهمساتِ الطفولة ووشوشات البراءة.

لم يكُن أحمد ليريدَ الذهاب مع أبيه وهو يُغرِّدُ مع البلابل التي لا زالت عاجزةً عن الطيران المرتفع فوقَ ساحة المدرسة. وكلما ناداه والِدُه يَستعجِلُهُ ازدادَ أحمدُ تعلقاً بالبقاء يمازحُ زملاءَه ويَلاحقُهم كما تلاحقُ الفراشاتُ رَقيقَ الزَّهر، وكما تعدو الريمُ خلف المها.

وبعد أن ضاقت ساحةُ المدرسة عن أن تتَّسعَ لرغبتهم في اللعب، ارتقوا الطابق العلوي يملؤون مَمَرَّاتِه بِرجْع أصواتهم الممزوجة بلَونِ الفرح وحُبِّ المرح، وبصدى وَقْعِ خطواتهم الطرية.

هذه هي لقطاتٌ باسِماتٌ من أحداثِ الأسبوع الذي بَدأ وانتهى في اللحظة نفسها في تقديرِ أحمد وزملائه، وكأنّه حلُمُ طِفلٍ تَفَلَّت من ذاكرته في اللحظة التي أراد أن يُعبِّر فيها عنه.

لقد استجابَ أحمَدُ، أخيراً،لإحدى نِداءاتِ أبيه القَوِّية بِلُغَتِهِ الفَصيحَة المُعتادة . وأودَعَ يَدَه في راحَةِ كَفِّه وفي نَفسِه شيءٌ من اللَّعب. وَصل أحمدُ البيت يَحكي أهَمَّ أخبارِ اليوم لأمِّه التي تنتَظِرُه بِلهفَةٍ وشوق.هنا بَدأ أحمد يُوجِّهُ مَجاديفَ قاربه الصغير في بَحر الإجازة نَحو شاطئ اهتماماته . لَقد حقَّقَ أبو أحمد أعني القارب- لهُ ما تَمنَّاه، فأخذَه لِيزورَ الجيران، واشترى لَه الحلوى وبعض الألعاب، وقَرأ له القصصَ الجميلة من يَوميَّاتِ وَكيلِ المدرسة التي هو فيها.

وفي مساءِ يوم الجمعة هاتَفَني أبو أحمد يَنقلُ إليَّ خبراً تَمنَّيتُ ألا أسمَعَه وهو كَسْرُ يَدِ أحمد اليُمنى. لقد تألَّمتُ لما حَصَل له، وتَألَّمتُ أيضا لفِراق الأنامل الغَضَّة قلمَ الرَّصاص الذي ألِفتْهُ وقَد تَركَ أثراً وبصمةً على ضفافها الطَّريَّة. كانَ هُناكَ شيءٌ يُقلقُه غَيرُ الألم ورُبَّما كانَ هو الألم نفسَه. ماهو ياتُرى؟ إنَّه الإحراجُ والحياءُ اللذان سينتابانه عندما يُقابِل زملاءَه في الفصل وقد لُفّ ذِراعُه بَجبيرةٍ توحي بالمَرض فضلاً عن لَحم جسده الذي سَينكَشِفُ لِزُملائه وللمَرَّة الأولى وهم الذين اعتادوا رؤيته في

ملابِسَ جميلةٍ وأنيقة ومُتناسِقة وَمعطَّرة. كُلُّ هـذه الأشـجان نَقَلها إليَّ والِـدُه، وطَمأنتُه على أنَّ عِلاجَ ذلك أمرٌ يسير.

حَضَـر المُحْـرَجُ إلـى المدرسـة وخُطـاهُ تتباطَـأُ كلمـا اقـتربت المسـافة مـن الفصل،بالإضافة إلى احمرارِ الوجه من شِدَّة الخجل . وَصلنا معاً إلى بابِ الفصل وابتسمتُ لأحمَدَ وحمِدتُ الله على سَلامته، وعندما دَخل إلى الفصل وأخذَ مكانَه في العُش بين فِراخِ القطا . كان القلقُ يعلو ملامِحَ والده خَشيةَ أن يتعرَّض ولده لِدفعٍ أو احتكاكٍ يحولُ بينه وبين شفائه العاجل من الكَسْر.

لقد طلبتُ من جميع زملائه أن يقولوا بِصوت واحد: حمداً لله على سلامتك يا أحمد، متمنين لك الشفاء العاجل. ومن ثمَّ طلبتُ منهم أن يتركوا المجال لزميلهم في الخروج والدخول وعند ارتقاء الدرج.

إن الذي لَفتَ النَّظر، وأدخل السرور إلى قلب أبي أحمد هو تَجمُّعُ معظم الزملاء حول أحمد، ببراءة فِطرتهم وطُهر نفوسهم، يُحادِثونه وَيُكلِّمونـه وكأنهم يواسونه. هذا فيصلُ لم يستطع أن يكتمَ حديثاً فَصرّح بِحبِّه لزميله وذاك نواف شرَع بِتجهيز الكرسي لأحمد، ووضع الحقيبة له في مكانه، وذاكَ محمدٌ يبتسم له . قُلتُ لوالده: انظر كيف يعبِّر الأطفالُ عن محبَّة بعضهم بعضاً، وكيف يهتمُّون بأمور بعضهم بعضاً.

لقد ذهبَ الوالدُ مطمئِنّا مسروراً بعد أن كان قلِقاً مهموماً. خرجتُ من الفصل تاركاً المجال لمعلم الفصل لِيذكرَ بعض النِّقاط التي من شأنها أن تحافظَ عل سلامة المُصاب وعندما رَنَّ جَرسُ الفُسحةِ الأولى ذهبتُ إلى الفصل لِتَقَع عيناي على لَقطة إنسانية لم أرَ أروعَ ولا أجمل منها . رأيتُ (نواف) أحد زملاء أحمد يُخرِجُ له فَطوره ورعدٌ يُغلقُ له سحَّابَ الحقيبة وعندما شكرت الاثنين تدخَّل أحمدُ قائلاً : إنَّ عبد العزيز أيضاً ساعدني، فَشكرته وتناول أحمد فَطوره في مكتبي بعيداً عن الخطر والازدحام. وهكذا مَرَّت الأيام العصيبة على أحمد سريعةً وسْط اهتمام زملائه ومحبتهم. لقد تَحولَّتْ يدُ أحمد المكسورة إلى غُصن زهر جذبَ إليه العصافير والفراشات والعشاق.

الرياض. ١٤٢٥هـ

همسةُ حَنان

أشرَقت شمسُ العامِ الدراسي الجديدِ حانيَةً دافئةً تحملُ في طَيَّاتها بشائرَ الفرحِ وهَمَسات الأمل، وتُرسلُ عبرَ سناها أنشودةَ

الصَّباحِ الجميل لعلَّها تُنبِّهُ عيونَ التلاميذ الوَسنى التي لا يزال يُداعبُها الكرى ويتمسَّكَ بأهدابِها، وتوقظُ الشِّفاهَ المُطبقةَ الحذِرة لعلَّها تنتزعُ منها ابتسامةً ، وأنَّى لها هذا!

اكتست المدرسةُ بِحُلَل البهاء وتزيَّنت بأجمل الألوان فَرحاً بِقدومِ التلاميذ المستجدّين الذين هم كالعصافير التي خرجت من فورها من عُشوشها، وقد غادرت حدودَ الخميلة الصغيرة التي ألِفَت زهرَها وفراشاتها وتغريدَ بلابلها إلى روضَةٍ جديدةٍ تتحوَّل الأغصان فيها إلى مقاعدَ خشبية، وصفحة الكون الواسعة تنحسرُ في حدود سبُّورة ضيقة، والببغاءُ المَرح يتحول إلى معلم مَهيب، وتوجيهات الأم الحنون تتحوَّل إلى أوامرَ وتعليماتٍ صارمة من قِبَل الوكيل والمعلمين.

خَرَجَ سُلطانُ من المنزلِ يَتَوَجَّسُ خيفةً وإشاراتُ الاستفهام الكثيرة قد عكَّرت استرساله، وكَبَّلت جوارحَه عن الانطلاق.خَرجَ البلبلُ الصغير برفقَة أبيه وشقيقه إبراهيم الذي بدا يَرمُقُه بنظرات ملؤُها الرحمة والحنان على الرغم من المُشادَّات التي تحدُث بين الطرفين والتي غالباً ما تنتهي بانتصار إبراهيم الأقوى جسماً والأصلبُ رأياً، وراحَ يُحادثِه ويؤانِسه ويُطلِعه على قصَّةِ القادمِ المجهول بدءاً من استقبال الأستاذ بدر للطلاب، مروراً بالتحاقهم في أرتالٍ على عدد المعلمين، وانتهاءً بوجبة الإفطار.

دخَلَ سلطانُ محتمياً برحمة أبيه ودفئه من جانب، وبحنان إبراهيم من جانب آخر .

إنَّ حِرصَ إبراهيم وتعلّقه بشقيقه أنسَياهُ فَرحةَ اللقاء بزملائه الذين انقطعَ عنهم قرابَةَ أربعة شهور، وبقي إبراهيم يلازمُ شقيقه في كل فعاليات اليوم الأول، وعندما طلبتُ من التلاميذ أن يصطفُّوا رتَلاً لأجري سباقاً لهم لعلَّ خطاهم المقيَّدة تتحرَّرُ مما علَقَ بها، وإذا إبراهيم يقف بين المصطفين بجانب أخيه يوشوشه بهدوء كأنّه يقول: انطلق كالسهم وفُز بالسباق حتى تحظى بالجائزة .

انتهى الأسبوع الأول وإبراهيم يتعاهدُ شقيقه المستجد بالرعاية، وجاء الأسبوع الثاني وكان سلطانُ قد بنى لنفسه مكاناً أخضر وارفاً بين طيور القطا في الصف الأول الابتدائي، ومع ذلك فلا يزال قلب إبراهيم النَّدي يحنو على الرّيم الصغير، وإذا جاءَ موعدُ الفسحة خرجَ من فصله يستعرض الوجوه بلهفةٍ وبشوق حتى تقع عينُه على أخيه فيقترب منه، ويساعدُه في فتح كيس البطاطس، وربما أمسك له علبة العصير، وبعد الانتهاء من تناول الفَطور يسألُه عن علاقته بزملائه وهل تجرأً أحدٌ منهم على مضايقته أو إزعاجه.

انقضى الفصلُ الدراسي الأول، وتبعهُ الثاني وأنا أرقبُ بإعجابٍ كبير وفرحٍ عظيم أثراً نبيلاً من آثار رحمة الخالق التي تفوحُ عبيراً، وتضوع إنسانية وحناناً في فِناء مدارس العليا الأهلية، تتجلَّى في حنان إبراهيم على شقيقه سلطان. يا إلهي ما أجمل الحب وأعذب الحنان وأطيب التعاون وأعطر الأخوة.

الرياض. ١٤٢٥هـ

ومن الحبِّ ما قَتَل

تزدهي الدُّنيا، وينجلي وجهُ الشمس، وتَلبَسُ المدرسةُ ثوبَ الفَرح.كلُّ شيءٍ يبدو جميلاً، وابتسامات الطلاب تراها أشبه بالمجاديف التي تدفع بالقارب نحو الشاطئ، وأشبه بالأجنحة التي تحملُ جسمَ الطائر إلى الغُصن الذي يريد.

إنَّها الرِّحلة. نعم، الرِّحلة المدرسيَّة، تلكمُ الكلمة السِّحرية التي تُوحِّدُ أحاسيسَ الطلاب وتَضُمُّ تحت جناحها أمانيِّهم الجميلة. في يومِ الرِّحلة مرحٌ وفرحٌ واهتياجٌ وجداني، مشاعرُ تفيضُ بالصِّدق والحركةِ، إنها كحركة الموج لا تلبثُ أن تنتهي ابتسامةٌ حتى تجدَ أخرى وقد حملَتها تقاسيمُ الوجه وحَطَّت بها على الشِّفاه لتُهديَ الدنيا زهرةً جديدةً من غُصنِ النَّقاء والبراءَة.

مع رنين جرسِ الفُسحة الأولى نَزَل طُلاَّبُ الصَّف الخامس الابتدائي تستثيرُهم الرغبةُ، وتحمِلهم الأماني والأخيلةُ، فهم يمشُون ويطيرون وينظُرون ولا يرون لأن أعينهم لا ترى إلا الصورة التي ملأت قلوبهم، واستحوذت على نفوسهم وسَلبت أفئدتهم.......... فهذا يتعثَّر وذاك لا يلبث أن يَفتح مَحْفَظته ليتحقَّق من وجود النقود، وآخرُ يقول: انتظروني قليلاً لقد نسيتُ شيئاً في الفصل.

obeikandi.com

اتَّصلت أمٌّ بندر تطلُبُ منّي ألاّ أسمحَ لولدها الوحيد بالذَهاب إلى الرحلة حرصاً على سلامته وخوفاً من أن تجرَّ الرحلةُ مكروهاً على ولدها الوحيد. حاولتُ أثنيها عن ذلك بتوضيحي للأثر النفسي السلبي الذي سينعكس على نفس ولدها من جرَّاء ذلك، وأضفتُ قائلاً: إنَّ القدر لابد واقع و المكتوبُ ليس منه مهروب. ولكن دون جدوى.

كانَ بندرُ يَدُسُّ نفسَه بين زملائه، وطالما تمنَّى لو أن جيوبهم تسَعه ليختبئ بها، وكأنّه أحسَّ باتصال أمه أو أنها أوحَت له بشيء من هذا القبيل في المنزل. ناديتُه فتجاهلَني وقد سارَعَ الخُطا مع الصفِّ المنطلق باتجاه الحافلة.حقاً كان موقفاً مؤلماً يجرحُ القلب ويُثيرُ العبرات. اتصلتُ بالأم وقد نقلتُ لها تأثُّرَ ولدِها الشديد ورغبتَه الجامحة بالذهاب إلى الرحلة مع زملائه، إلا أنَّ الفكرةَ التي عشَّشت في ذهن أمه أكبرُ بكثير من كلِّ ما ذكرت .

كان بندرُ قد أخذَ مكانَه في الحافلة مع سِرْبِ السنونو المهاجر إلى مكانٍ بعيدٍ قد يمكُثون فيه شهوراً وقد يركبُون في سفينةٍ تُبحر بهم في عرض البحر ليُشبعوا رغبتهم في حبِّ البحر و سحر الموج. وكان بعضهم ينظرُ إليّ -وأنا أوصي المعلمين بالحرص على الأبناء -و يلوِّحُ بيديه مودعاً وكأنّما سيذهبون من غير رجعة.

أقنعتُ بندرَ بالنُّزول وقلبي يتَفَطَّرُ حزناً وهو يَتوسَّل بعباراتٍ طفوليّة تؤلم القلب بقوله: ((تَكفى))(١) أقبِّل يديك يا أستاذ. نزلتُ مع بندرَ من الباص الذي انطلقَ وتَركه وحيداً يُكابِدُ الألم ، وذهبتُ به إلى غرفة الحاسب الآلي لعلَّه يسلُو الألم الذي اعتورَهُ بسَببِ عدَمِ ذهابه إلى الرحلة وبينما نحنُ نصعدُ الدَّرج قال لي : ((أنا أعرفُ أنَّ أمي تخافُ عليَّ لكن أصلاً هذا ليس حرصاً هذا تعقيد)). فقلتُ: حسناً يا بندر سأبذل جهودي لإقناع والدتك بالذهاب في الرحلة القادمة.

مضى اليومُ ثقيلاً على بندر، ولكنَّه مرَّ سريعاً جداً على زملائه الذين لعبُوا ومرحوا واستأنسوا وقد نفَضُوا عن أناملهم غبار الطبشور، وعن أذهانهم ثِقَلَ الحفظ، وعن أعينهم الكرى الذي طالما داعبَ عيونهم قبيلَ الصباحِ .

---

(١) تكفى: كلمة عامية معناها((بالله عليك)) أو ((لو سمحت)).

عادوا وسْط نظرات الألم والأسى التي كان يبادلهم إيَّاها بندرُ الذي أمضيتُ اليوم وأنا أتألَّم كلما رأيته. لم يكن بندرُ وحيداً يتألم ولكن طفقتُ أتعهَّده بالسؤال والرِّعاية مابين غرفة الحاسب الآلي وملعب كرة القدم حتى تمكَّن من هضم الموقف الذي كان هضمُه صعباً جداً.

جاء موعدُ الرِّحلة الثانية ولكنْ في هذه المرَّة أبقَتهُ أمُّه في البيت تخفيفاً عنه ، نعم، أبقَتْهُ في المنزل بجسده وأعضائه، أمّا مشاعره وتفكيره فقد كانا يطيران مع موكب الرحلة . عند السَّاعة العاشرة رنَّ جرسُ الهاتف وإذا بندر يتَّصل. قال لي : أستاذ إلى أين ذهب طلاب الصف الخامس ؟ قلتُ: إلى مكتبة الملك فهد الثقافية . فقال وأين سيُفطرون ؟ فقلتُ في مطعم (هرفي) قال : ((يا حليلهم)) أي هنيئاً لهم، وختمَ مكالمتَه قائلاً: أستاذ مع السلامة . فقلت : مع السلامة.

الرياض. ١٤٢٤ هـ

مشعل والحِصّة القاتلة

إنَّها معشوقةُ الجميع، وَحبيبة القلوب. وهي ربيعُ المدرسة، وشجرتها الوارفَة ، حيث ينعَم الطلاب بظلِّها،فيُريحون أذهانهم، ويُنَدُّون نفوسهم من الجفاف الذي علِقَ بها تحت وطأة تمارين الرياضيات، وتداخُل دروس القواعد بمجزوماته ومنصوباته على مَدارِ اليوم الدِّراسي الطَّويل . يعُدُّون العُدَّة للقائها، وتتراقَص قلوبهم فرحاً بقدومها، أمّا الحُلُم الورديُّ الذي يداعبُ أخيلة الجميع بإحْراز هدَفٍ يرفع مِن قَدْر مُحْرزهِ فيحتلُّ الصَّدارة من بين الاستعدادات التي تسبِق الحصَّة الموعودة ،حصَّة التربية البدنيَّة .

كان يتذرَّعُ في كُلِّ مرة أشاهدُه فيها - متوارياً عن أنْظارِ معلم التربية البدنية- بأنه مستأذِنٌ من المعلم أو أنَّــه خرجَ لبعضِ شأنه ، أو أنَّ الأستاذ أرسلَه ليأتي بدفتر التحضير من عندِ مدير المدرسة.ولم يَخطر ببالي البَتَّة أن أحداً قد تُسوِّل له نفسُه الهربَ من أمتعِ الحصص .

تَكرَّرت مشاهداتي لمشعل- المتواري خلف الحُجب- وفي هذه المرة لم أُسائله، ولكنني اصطحبتُه إلى المكتب. ولم أجد أيَّ صعوبةٍ في فتْحَ خفايا نفسِه والكشف عن سببِ نُفوره من حصة الرِّياضة على لغة طلاب الصفِّ الأول الابتدائي .وفي الإجابة عن سؤالي الأول أجابَ مشعل:كلا الفريقين لا يرغبان بأن ألعبَ معهما، والكابتن (لاعبٌ متميِّزٌ يخَوِّله المعلم بانتقاء اللاعبين) كان لا يختارني . وكانت اللحظات التي يتمُّ فيها الاختيار أصعب عليّ من اختبار الرياضيات.

ولكَ أن تتخيَّل الجُرحَ العميقَ الذي أصابَ قلبي عندما غابَ أحدُ الزملاء واختارَني قائدُ الفريق مكرَهاً لأحرسَ المرمى، وما هي إلا لحظات حتى تمكَّن الفريقُ الخصمُ من إحراز هدف في مرماي. وبدأ الهجومُ عليَّ بالصُّراخ واللَّوم والتقريع من أعضاء الفريق. وقال لي الكابتن: هذه آخر مرة تلعب معنا. فهمت ؟! بينما كان المعلم يكتفي بقوله: كفى ...... كفى . ويصَفِّرُ إيذانا للفريقين باللعب متجاهلاً وابلَ السُّخرية والانتقاص الذي نال من شخصيتي..........

لقد تألَّمتُ كثيراً لما سمعتُه من مشعل، وشرعتُ في رفعِ معنوياته وترميم جُدران الثقة التي تهشَّمت في نفسه. ناديتُ معلمَ التربيَةِ البدنيَّة وأخبرتُه بالأمر فقال: المشكلةُ أنَّ مشعلَ لا يجيدُ اللَّعبَ وَقد يتسبَّبُ بخسارةِ زملائه. فقُلت: ينبغي أن نتعاونَ معاً لنساعدَ مشعلَ في الانخراط والانسجام مع زملائِه ، كما ينبغي أن نَحُدَّ من سُلطاتِ الكابتن لأن الصِّغار لا يُوَلّوْنَ أمورَ بعضهم بعضاً....

في الحصَّة التالية كنتُ أنا الكابتن، ولعبتُ مع فريق مشعل، وكنتُ أناولُه بعضَ الكرات وأُثني عليه وبقيتُ ألعبُ معه حتى ناولتُه كرةً مكَّنتْهُ من إحرازِ هدفِ العُمر وسْط نظراتِ الإعجاب إلى مشعل ولسانُ حالهم يقول: سبحان مغيِّر الأحوال. وتابعَ معلم البدنية خطَّة الإنقاذ التي بدأتُ فيها حتى تمَكَّن مشعلُ من تجاوُزِ مشكلتِه وصارَ من أكثرِ الطلاب حرصاً على حضُور هذه الحصّة..

ذاتَ يوم علَت أصواتُ الإداريين يريدون وكيل المدرسة، وعندما حضرتُ وإذا أبو مشعل وقد أحضر مصوِّرة الفيديو استجابة لرغبةِ ولده المحترف والذي زَيّنَ قميصَه البرتقالي برقم (١٠) ليري أمَّه وجدَّه وإخوته في البيت ذاك اللاعب المحترف، والهداف الأسطوري .

الرياض ١٤٢٥هـ

وَطُمِسَت النّجوم

طالت معاناةُ إبراهيم مع العشيرِ الجَديد الذي أخَذ من كُلّ أشكال السعادة في حياته ما أخذ. إنه عشيرٌ مُملٌ لقد حَرَمَهُ السَّهر ومُتعةَ السفر ونومَ الضحى. وأيُّ عشيرٍ ذلك الذي لا يبتَسم ولا يصفح ولا ينسى ..؟! إنها الأبجديّة الجادَّة التي لا تداري ولا تُحابي. إلى درجةِ أنها لا تساعده في كتابةِ نُقطة حَرفِ الباء التي كَثُرَ ما ينساها، أو سِنَّةَ الصاد التي لا يجدُ لها لزوماً، ونقطتي التاء المربوطة اللتين تبدوان له كعضوين زائدين في جسم الأبجديَّة. أمَّا حصّةُ الإملاء فَضرْبٌ من ضُروبِ العذاب والمعاناة، فلكم تمنى إبراهيمُ لهذه الحصةِ الموتَ، وكَم دعا عليها بالهلاك، فهي سارقةُ الابتسامات، ومُنَغِّصَةُ أمتَع اللَّحظات. إنها أشبهُ بالصقيع الذي يُميتُ الزُّهور الغضَّة، وبالتالي يطفئ أريجَها ويحبسُ شذاها .أمَّا حِصَّةُ التَّهجئة التي لا تَقِلُّ عن سابِقتِها من حيثُ دَرَجةُ نُفورِهِ منها، فَهيَ تُلَوِّنُ خريطةَ اليوم بالسَّواد، ومعلمُ الفصل لا يصل تقديرُه بِنَظَرِ إبراهيم إلى الحدِّ الأدنى على الرغم من تَمَيُّزِه علمياً وتربوياً في نظر المعلمين في المدرسة.

هذه هي أبرزُ ملامحِ الفصل الدِّراسي الأوَّل. مَرَّت الإجازةُ سريعةً كحُلُمٍ جميل وها قد بدأ الفصلُ الدِّراسي الثاني، وقرَّرَ إبراهيمُ أن يَتحرَّرَ من القُيود التي طالما كَبَّلَت جوارحَهُ الجامحة، وآمالَه الطَّامحة ليوفِّرَ لنفسه عالماً مُريحاً إلى حدٍّ ما. لقد ألِفَ إبراهيمُ عباراتِ التَّقريع، وعدمِ الرِّضا، كما ألِفَ ملاحظاتِ مُعلِّمِهِ التي تدورُ حولَ فكرةٍ واحدةٍ وهي تَراجُع مستواهُ في جميع المواد إلا في مادتَي التربية البدنية والفنيَّة.

إنّ إمكاناتِ إبراهيم الجُسمانيَّة ساعدتهُ على لَعِبِ دَورِ بطل الفصل، فهو الأطولُ الذي يستطيع الوصولَ إلى ذروة السبورة، وبوُسعه أن يمسحَ حكمةَ اليوم. وهو المتخصِّصُ بتنفيذِ الضَّرَبات الحرَّة المباشَرة على مرمى فريق الخَصم، وهو الذي يصرعُ الجميع. نعم لقد تجاوزَ إبراهيمُ المحنةَ وبدأ يُعَوِّض تقصيرَه الدراسي في مادتي القراءة والإملاء بتميُّزِه الجسماني العضلي .

ذات يومٍ، مع رنين جرس الفسحة الثانية أخرجَتني من مكتبي قعقعةٌ وأصواتٌ مرتفعة وعندما أصبحتُ على مقربة من باب الصَّف الأول. انطلقَ أحمدُ

obeikan.com

باتجاهي من فصله كالسَّهم مُحطوا وجهُهُ، وطفِقَ يتكلمُ مُستنفراً جميعَ جوارحه لتشاركَه الحديث آملاً أن يُوصِلَ المعلومةَ إلى أُذُني حارَّةً قوية لعلَّها تلامس نخوةَ المعتصم.

ما الخطبُ يا أحمد ؟ قال: يا أستاذ لقد مسحَ إبراهيم اسمي من على السبورة. عندئذٍ دخلتُ الفصل، وتناولتُ طبشورةً، وكتبتُ اسمَه من جديد. لكنَّ أحمدَ لم يسعد ولم تُخمِد علاماتُ الرِّضا حرارتَه التي تَجلَّت في حُمرَةِ خدَّيه والتِواء شفتيه. ثم أرجَعتُ البصرَ ثانيةً وأجلتُ الطَّرفَ في السبورة فوجدتُ بعضَ الأسماء وقد ذُيِّلَت بنجوم ذواتِ بريقٍ أخَّاذ - وربما هي بِنَظر الطلاب أكثر جاذبيةً من تلك التي يرونها في أديمِ السماء- أمسكتُ بالطبشورة من جديد ورسمتُ نجوماً ثلاثةً بِجانب اسمِ أحمد. عندئذٍ جلسَ على استحياءٍ ولم يرضَ عن آليَّة الحلِّ بالكلِّية.

فكرتُ للحظةٍ ثم نظرتُ إلى رفِّ السبورةِ فوقعَت عيني على طبشورة ملونَّةٍ فحملتُها، ورسمتُ النجومَ المطموسةَ لتعودَ كما كانت بِحُلَّتِها القشيبة وبألوانها العجيبة. سُرَّ أحمدُ وتنفسَ الصعداءَ وأنِسَ. وعندما خرجتُ من الفصل فاسحاً المجالَ لمعلم الحصَّة. تَبِعَني إبراهيم. بطلُ الفصلِ جُسمانياً ' وقال: أنا آسف يا أستاذ علماً بأنني لم أَلُمهُ، ولم أعاتبه وأظنُّكم عرفتم لماذا وثبَ إبراهيمُ إلى السبّورة بِحَنَقٍ وغيظٍ يَمسح أسماءَ المتفوِّقين ويطمِسُ النُّجوم.

لم يَكد هذا الموقف ينتهي حتَّى وجدتُني أتتَبَّعُ أثرَ معلِّمِ إبراهيم لأخبرَه بالأمر. وَبعد جلسةٍ طويلةٍ اتفقنا على تَزيينِ كتب إبراهيم وقراطيسه بالنجوم لمدة أسبوع نتعهَّدها بأنواع النجوم صغيرها وكبيرها أحمرها وأصفَرها،وكانت النتيجة تَحَسُّنَ مستوى إبراهيم في جميع المواد ولاسيَّما مادة الإملاء، وتجلَّت رغبةٌ واضحةٌ في الدراسة عبَّرت عنها ابتسامةٌ لازمَت شفتيه طَوال اليوم.هذه الانطلاقَةِ النفسية جعلته يركضُ في أرجاء المدرسة سعيداً كعصفورٍ خرج من فوره من القفص. لقد تعلمتُ من إبراهيمَ الطفلِ درساً مفيداً في التربية، وأضاف إلى روضةِ معرفتي التربوية الصغيرة وردةً جميلة كتب على إحدى ورقاتها: ((شجِّعوني تكسِبوني)) .

الرياض ١٤٢٥هـ

فوحُ الدافعيّة

لقد حَظِيَ معاذٌ بمكانةٍ مرموقة في أسرة يفوحُ من جنبات منزلها عطرُ الثقافة، وتَتحدَّرُ من شرفاتها أزاهيرُ الفل المُعتَّق بأريج العلم وشذا المعرفة.أسرةٌ تتنوعُ فيها الشهاداتُ العلمية تَنَوُّعَ أشكالِ الورد في الغصن الواحد، فهناكَ الطبيبُ والمهندسُ والتربوي. أسرةٌ علميةٌ وضعت عنواناً لحياتها قولَه تعالى:((يرفعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات.)) وتمثَّلت فضلاً عن ذلك قول الشاعر:

بقدرِ الجِدِّ تُكْتَسَبُ المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

كل هذه المقِّومات لم تمكِّن براعمَ معاذ من أن تورقَ أو تُثمر، وظلَّ الحلُمُ الكبير الذي يداعبُ أمَّه الرؤوم في حصوله على معدَّل ممتاز حبيسَ الأماني الورديَّة،كيف لا ومعاذ آخر العنقود !؟ فهو الأغلى والأحلى والأقرب إلى قلبها.

معاذ يدرسُ في أفضل المدارس،كما أنه يستفيدُ من خبرة أمّه التربوية ودعم إخوانه الكبير، ومع كل ذلك ظلَّت دافعيتُّه متعثرةً، وتجلَّى ضعفُ الدافعية عنده في مادة اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص، إنْ هي إلا طلاسمُ لاتُحلّ، ورموزٌ معقدة لا تُدرَكُ أسرارُها.

لم يتمكن أحدٌ من معرفةِ الطريق إلى قلبِ الطفلِ النَّبيل معاذ، الذي يقطر طيباً وبراءةً، إنه أشبهُ بسحابةٍ ممتلئةٍ بالمطر ما إن يلامسها دفءُ الشمس حتى تسكُبَ كل حمولتها لتروي الأقاحي العطشى والأعشاب الحالمة.

شاءَ المولى ﷻ أن أكونَ مدرساً لمعاذ، أعلِّمه اللغةَ الإنجليزية التي يتمنى لها الموت في كل يوم لأنه غير مُقتنعٍ بوجودها فهي منغِّصة البسمات، وهاذمة اللذَّات.

كانت مهمةً صعبة، ولكن شرعتُ كعادتي مبتدئاً بالخطوة الإنسانية إذ عاملتُ معاذاً معاملة أخٍ وصديق. لقد فرشتُ له حروفَ اللغة الإنجليزية بساطاً من الزهر يخطو عليه، وأسمعته (الضمائر الشخصية) بلَحْن جميل ظلَّ طويلاً يتغنى به.أعطيتُه الأمان، وسكبتُ في فؤاده الغض كؤوساً من المحبَّة والحنان، بعد أن أمطتُ اللِّثامَ عن شخصيته الرقيقة العذبة، فرُحتُ أسقي الغراس بقطرات الندى الرقيق لا بقطر المطر الغزير.

obeikandl.com

أما الخطوة الثانية فكانت تشجيعاً وتعزيزاً، إذ زيَّنتُ قراطيسَه بالنجوم المتلألئة التي كانت بنظره أجملَ بآلاف المرات من تلك التي تسبحُ في السماء، وضاقت صفحاتُ دفاتره عن احتواء عبارات الشكر والثناء. وكلما أراني من نفسه جِداً أريتُه المزيدَ من التقدير والتشجيع.

لقد أحبَّني معاذ، وبدأ يتشوَّقُ لقدومي، وكانت أمّه تنقلُ إليَّ مشاعرَه الحميمة وشوقَه الغامر إلى درس اللغة الإنجليزية، فأزدادُ سعادةً، وأحسُّ بقربي من الخالق ﷻ.

ومن أجل تحسين صورته أمام أقرانه ومعلمه شرعتُ أشرح له الدرس مسبقاً حتى إذا ما بدأ المعلم بشرح الدرس ذاته في الفصل، راح معاذٌ يشارك، ويترجم، ويحلُّ التمارين. يا إلهي ما الذي حصل ؟ أي سعادة تلك التي حطَّت رحالَها في عالم معاذ ؟ كيف تحولت الطلاسمُ إلى أناشيد رائعة كأنشودة «تيدي بير» «TeddyBear» التي أحبها معاذ كثيراً، وتحولت الرموزُ المعقدة إلى عبارات من الأنس والوضوح.

أما الخطوة الثالثة فكانت ذات أثرٍ بالغ، إنها هديّةٌ لم يكن ليتوقعها معاذ. هدية ذات قيمة معنوية ويكفي أنها من معلمه الذي يحبُّه كثيراً .لقد وصلَ الأمرُ به أن يتحمَّل كل ما أكلِّفه به من تمارين وقواعد .

بقيت هناك مشكلةٌ فنيَّةٌ تتعلق بمخالفته لقواعدِ الخط ولم أُمضِ في حلِّ هذه المشكلة الكبيرة أكثرَ من بضع دقائق شرحتُ له فيها طريقةَ كتابةِ كل حرف. وما إن انتهيتُ من كتابتها حتى شرعَ معاذ يرسمُ الحروف رسماً ينُمُّ عن موهبة فنِّية عظيمة. إنَّ خطَّه أجملُ من خطي. لقد تحوَّل القلمُ المثَلَّم البائس إلى ريشةِ فنان مبدع.

تجاوزَ معاذٌ المحنة، وتحرَّكت دافعيَّتُه تنشُرُ عرْفَها على امتدادِ خميلةِ ذهنه الغضِّ، وشدا البلبلُ الحبيسُ فوقَ أفنانِ الدَّوح يعزفُ ألحانَ الأمل.

وعندما هاتفَتني أمُّ معاذ تشكرُني على أدائي مع ولدها قائلةً: إنكَ حقَّقتَ معجزةً مع معاذ، حَمِدت المولى ﷻ، وسجدت شكراً للخالق.

الرياض/ ١٤/٦/٢٠٠٦ م

شَهيدُ الأبجديّة

غُرفة المعلمين تعيشُ أمتعَ اللحظات عندما تكون لدى الأستاذ مروان حصَّةُ فراغ ، ليشرعَ بالحديث عن ذكرياته القديمة في التعليم، ولربما وجدتَه وقد جاشَت عاطفتُه ليُنشدَ بعض الأناشيد العَبِقة بذكريات الماضي. وكان الأستاذ سامر المشرف العام على المدارس لِثِقَتِه بحِلْمِه قد أوكلَ إليه أمرَ الطلاب الذين يبدو عليهم العِيُّ والمرض، وأولئك الذين تظهرُ عليهم بعض ملامح التأخُّر الدراسي.

إن سَعَة صدر الأستاذ مروان، و دفء أبوته جعلاه يستوعبُ أمثالَ هذه الحالات الخاصة، وينجحُ معهم. كان يحترمُ عملَه فهو أوَّلُ من يحضُر إلى المدرسة، وأكثر الملتزمين بالنظام. وكان الأستاذ مروان يقول: إنه أعطى مهنةَ التعليم كلَّ شيء حتى رشاقةَ قلبه وحرارةَ دمه، إلا أنها لم تمكِّنه من بناءِ بيتٍ جميل يَسعَدُ فيه أطفالُه،وأما طلابه فمنشدُّون إليه ومُتعلِّقون به، فهو المتواضع والمربي الفاضل حيث إنَّ السنين الطويلة التي أمضاها في حقلِ التعليم قد جعلت عشقَ التعليم جزءاً لا يتجزأ من شخصية أستاذنا الفاضل .

وبينما أتفقَّدُ المناوبين في ساحة المدرسة ذاتَ مرَّة، وإذ بعينيَّ تقعان على الأستاذ مروان وقد أمسك جانبَه الأيسر وكأنَّ شيئاً حاداً قد وخزَه، اقتربتُ منه، وقلتُ: مابك ؟ قال: لا عليك، بسيطة، إلا أنَّ الألمَ الذي اعتورَه كان أكبر بكثير من عزيمته القوية وشكيمته الشجاعة. اصطحبتُه إلى مكتبي فسَرعان ما مدَّدَ جسمَه المنهك على الأريكة، وسْط تساؤلاتِ طلابه عنه . رَنَّ الجرس، فهَمَّ الأستاذ مروان بالقيام ليؤدِّيَ درسَه، لكنّني لم أسمح له بذلك، فنظر إلي قائلاً : هذه هي أولُ مرَّة أتخلفُ عن حصة درسية((فأجبته : الضرورات تبيحُ المحظورات .

أخرجَ ورقة من جيبه وقلماً، وبدأ يكتب أسماءَ الأدوية التي يتناولها، لقد فوجئتُ من عدد الأدوية، وأذكرُ أن أحدها كان مميِّعاً للدم. وبِتُّ أقول في نفسي: كيف يستطيعُ جسمٌ يحتاج لكل هذه الصنُّوف من الأدوية أن يعلِّم طلاب الصف الأول الابتدائي ؟ وما

أدراك ما تعليم الصف الأول..!! أخذت الورقة منه، وكان أسْلَمَ عينيه من فوْرِه للنوم.

في صباح اليوم التالي لاحظ الجميعُ غيابَ الأستاذ مروان، وهذه كانت المرة الأولى التي يتغيَّب فيها عن الاصطفاف الصباحي، أسرعتُ إلى المكتب،وطلبتُه في منزله وما إن رُفِعَت السماعة حتى وجدتُني أسمع بكاءً ونحيباً ،لقد تمالَكَت إحدى النساء المقرَّبات نفسها للحظة وقالت: لقد فارق أبو حمزة الحياة.

لقد كان صعبا جداً نَقلُ هذا الخبر إلى العصافير المُغَرِّدة التي لا تفتأ تسألُ عن الأستاذ الراحل، لقد ساورهم القلق وكأنّهم يستنكرون هذا الغياب المفاجئ . لقد كتبوا الواجبات، وأمضَوا الليلة المنصرمة يتدرَّبون على كلمات الإملاء. وكيف لي أن أنقلَ الخبرَ إلى زملاء الدرب الطويل؟!!

لقد نقلَ الخبرُ نفسَه، وبكى الجميعُ شهيدَ الأبجديَّة، وقدَّم أصحاب المدارس، صوراً مشرقةً من صُور الوفاء للمعلم الشهيد التي إنَّما تدُلُّ عن أصالة فريدة ومروءة عزَّ نظيرها، وبنَوا لأطفالِه بيتاً،وحقَّقوا له الحلمَ الكبير. لقد قضى لتحتضنَه أرضٌ غريبة لا تحمل من ذكريات عمره أيَّة بصمة ، ولا تَضوع روابيها بأية رائحة. رحلَ عنَّا أبو حمزة وخَلَّف وراءه مواقفَ طيبة، وسيرة عطِرة، وأجيالاً تشهَدُ له بصدق العطاء. رحم الله الشهيد، وسقى قبرَهُ القطْرَ، وبنى له بيتاً في الجنَّة.

الرياض /٢٢/٢/١٤٢٢ هـ

انتماءُ البراعم

كلُّ شيءٍ في المدرسة يبدو رائعاً وجميلاً، فكأسُ الإملاء هي أروعُ من كأس العالم لكرة القدم، ورائحة التفاح يسيلُ لها اللعاب ،ولِفافة الزيت والزَّعتر أشهى من الشّواء ، أما طعم السَّكاكر فحدِّث ولا حرج. كانت كلُّ هذه الأصناف موجودة في خزانة الصف الأول ((دال)) إلى أن أتى اليوم المفتوح، ذلك الحلم الكبير والغصن النَّضير لكل طالب.

لقد نزلَ جميعُ الطلاب إلى الملاعب، وأقفرَت الفصول الجميلة إلا من حقائب متناثرة وأوراق متطايرة.كان يوماً سعيداً تنفَّس فيه الأبناء الصعداء، وضحكوا ملءَ أفواههم، وملؤوا الملاعب بإيقاعِ خطواتهم الطريَّة وابتساماتهم النديَّة.ورسموا بريشة أفراحهم تذكاراً، ونقشُوه في أذهانهم تحرِّكه أنسامُ الحنين بين الحين والحين.

عادَ الطلابُ إلى الفصول.لقد عثرُوا على أشيائهم بصعوبة.وعندما قال الأستاذ عاطف :تفقَّدوا الفصل بشكل جيد يا أولاد. انتفض علاءٌ قائلاً : ((كأس الإملاء ليس موجوداً يا أستاذ.فوجىءَ الطلاب وعلَت ملامحَهمُ الدَّهشةُ وكأنَّ سحابة من الألم قد غطَّت ضياءَ الفصل. هدَّأ معلمُ الفصل من روعهم قائلاً: ((الكأس ستعود إن شاء الله وإلا سنُخبر الوكيل بالأمر ليُعطيَنا كأساً بديلةً ثانية

في اليوم الثاني عادت الكأس ولكن ليس في كل مرَّة تسلمُ الجرَّة. وفي نهاية الدوام من ذلك اليوم، وبينما كنتُ أتفقَّدُ الفصول استعصى عليَّ فتحُ باب الصف الأول(دال).استغربتُ حقاً والذي قفزَ إلى ذهني أن مجموعةً من الطلاب قد اختبؤوا وتحصَّنوا خلف الباب... حقاً لم أتمكَّن من فتح الباب.يا إلهي من هذا الطالب القوي الذي يمكثُ خلف الباب ؟..نظرت من النافذة وإذا المناضد قد صُفَّت خلف الباب حتى وصلَت الجدار بحيث يصبح فتحُ الباب أمراً مستحيلاً،وبينما أنا على هذه الحال إذا باسل وبلال يقتربان مني وقالا: أستاذ بدر ..أستاذ بدر..نحن وضعنا المقاعد خلف الباب، وتسلَّقنا النافذة وقفزنا . قلت : لماذا ؟ قالا: حتى لا يدخل إلى فصلنا أحدٌ ويسرق الكأس والحلوى مرَّة ثانية.

شكرتُ الطالبين، ومسحتُ على رأسيهما، واصطحبتهما معي إلى

المكتب وأعطيتهما الهدايا، وزيَّنت جبينيهما بالنجوم، وشكرتهما على هذا الانتماء النبيل للفصل الذي شربا منه كؤوسَ المعرفة، وتعرَّفا من خلاله على عالم الأبجدية.فكانا وفيَّين مخلصين يذودان عن حماه ويحميان ممتلكاته.

الرياض ١٤٢٧/٣/٢٥هـ

obeikandl.com

من الصّعوبات إلى الإبداع

إنَّ هجرة الطيور من مكانٍ إلى آخر بحثاً عن الدفء والأمان لتُشبه هجرة الناس من مكان إلى مكان ومن منزلٍ إلى آخر، و من مدرسة إلى أخرى باحثين عن الرزق والاستقرار.

وآخر الهجرات التي نعرفُها كانت هجرة الطائر الوديع حسن الذي إنما جاء إلينا في وقت يندُرُ فيه التنقُّل، حيث حطَّ في ديارنا في منتصف الفصل الدراسي الثاني، عندئذٍ حوَّله مدير المدرسة إليَّ كي أختبره،وقبل أن أفعل، أخذت بعض المعلومات من والده الذي أبلغني في نهاية حديثه أن معلّم ولده قد طلب منه أن يعرضه على طبيب نفسي.

هنا ثارت ثائرة الأب، واقترح أن يكملَ ولده ما بقي من العام الدراسي في مدرستنا، وقَدَّر الله أن أكون ذلك الطبيب النفسي. التقيت (حسن) وسألته أسئلة يسيرة أجاب عنها بسهولة، فتعزَّز، وارتفعت معنوياته، وبدأ الفرح يعرفُ طريقَه إلى ملامح وجهه الكئيب،ثم قلت: أنت طالبٌ ممتاز يا حسن،أنت ذكي ،سنجعلك عريفَ الفصل لأنك مهذب، وهذه هدية لك..عندئذ تلوَّنت شفاهُه الحزينة بالابتسامة وألقى برأسه بين يدي.نظرت إلى أبيه إذا بعينيه امتلأتا بالدموع، فخرجَ بحجة أمرٍ ما لأنه لم يعُد بقادرٍ على احتمال الموقف.

دخل حسن فصله، واستقبله الأستاذ أمير استقبالَ المربي الحنون، فطلب من الطلاب أن يحيُّوا زميلهم ثم قال: زميلكم حسن طالبٌ مجدٌّ جاء إلى مدرستنا لكي ينافسَ المتفوقين، ثم أخذ المعلمُ حقيبةَ الضيف، وملأها بالدفاتر الجديدة، والكتب التي تفوحُ منها رائحة الورق الزكيَّة ،وزيَّن جبينه بالنجوم المتلألئة.

جاء وقت الصلاة، وانتظم الأبناء في صفوفهم، وبعد الانتهاء من الصلاة مضيتُ لأكافئَ أفضل الطلاب أداءً للصلاة،وما إن أعلنتُ اسمَ حسن حتى دوَّت الساحة بالتصفيق،خرج من بين زملائه يشقُّ الصفوف وكأنّه فراشة طارت من غصن إلى غصن . استلم هديتّه بفرح، وفي اليوم الثاني حضر الأب وقال: حسن يعدُّ الدقائق

obeikandl.com

والساعات، إنه يتمنى أن يكون اليوم كلّه في الدراسة.. فما إن يصل إلى البيت حتى يفتح الحقيبة، ويشرع بحل الواجبات بمفرده.

لقد أصبحت الدنيا بعيني حسن جمالاً وربيعاً ومحبة بعد أن كانت يأساً وظلاماً... وبعد مضي شهر من انضمام حسن إلينا، سألت معلمه عنه فقال: إنه يتمتع بقدرات علمية ممتازة،وأصبح من المتميزين في مادة الإملاء الغيبي.

الرياض ١١/٣/١٤٢٧هـ

obeikandl.com

من نَسَمات الفؤاد

سكنَ الكونُ، وغارت النجوم، وأوَت الطيورُ إلى وُكناتِها، وهجعَ الأطفالُ في الأسِرَّة بعد أن خبؤوا في حقائبهم أحلامَهم العزيزة التي تمثلت في الأقلام الملونة، والحقائب المدهشة، والدفاتر التي هي أشبه بلوحات فنية أخاذة .

أمّا غالية ابنتي فهي متحمسة جداً، وما فتئت تسألني عن المدرسة والمعلمة، وقبل أن تستقرَّ الحقيبة في الخزانة فإنها تفتحها من جديد. لقد وضعت الدفاتر والأقلام وبعض المجلات ولِفافةً من الجبن وعلبتين من العصير والحليب وثلاثة ريالات. إن الناظر إلى حقيبة ابنتي ليخيَّل إليه أنها حقيبة طالبة في المرحلة المتوسطة.لقد تأملتُ الحقيبة الجميلة طويلاً، وتنقَّلتُ بين الدفاتر والدمى ورائحة البراءة والطفولة التي تفوح من جنبات حقيبة الغالية .فامتشقَ الخيالُ يراعتَه وكتب ما يلي:

ماسرُّ حُبِّ بُنيَّتي لحقيبةٍ
تُمضي سويعاتٍ ترتِّبُ زهرها
ويهيمُ عصفورُ الخيال
مغرداً في روضها
أحلى الأحبة كلهم
هي أجمل الأشياء باتت في خميلة دُرجها
ففتحتُ يوماً درجها
ورأيت في وجه الحقيبة وجهها
فاح الشذا من زهرها
وتبسَّم الألف الجميلُ
وقد أمالَ الرأس يُعلنُ حُبَّها
والباء باتَ مميزاً
متوسِّداً قرطاسها

وأجَلتُ طرفي في الجوانب كلها
أستافُ عَرْفَ براءةٍ
وأرى دُمىً وعرائساً
ولكلٍّ واحدة مسمى عندها
أما المفاجأة الكبيرة أنها
وضعَت بجيْبِ كتابها
مشطاً وصورة أمها
والميلَ والعِقد الجميل وكُحلها.
روحي فدىً لبنيَّتي
ولكُلِّ طفل مثلِها.

لقد نِمتُ في ذلك اليوم مبكراً لأجلها، وحققتُ لها حلماً عزيزاً عندما ضمَمْتُها إلى صدري ونامَت معي في السرير. أسبلَت غالية عينيها للنوم تستعجلُ الصباح، وتستدني طلوعَ الشمس وكلما تقلَّبت في الفراش، استيقظت ظنًا أنني ذهبتُ وتركتها.

وعندما استيقظت إلى صلاة الفجر نهضتُ برفق شديد كي لا تستيقظ غالية لتتمتَّع بساعة نوم أخرى، ولكن من دون جدوى. لقد نهضَت قبل أن أمشي خطوة واحدة.

ركبتُ السيارة وبجانبي قمرُ حياتي وفلذة كبدي. كان العطر يفوحُ من خَصَلات شعرها والبراءة تنتشر من سنا عينيها. بدا الطريق إلى المدرسة جميلاً وقصيراً، كيف لا ؟ ونسيم الحنان وعبير المحبة وأريج الطفولة يملأ السيارة بالأنس والروعة.

نزلنا من السيارة واتجهنا باتجاه الحارس فقلت لها: هذا العم سعد، فابتسم لها ومدَّ يده، فسلَّم عليها، وأراد أن يصطحبها إلى المدرسة، ولكن غالية لم تترك يدي. فقلت:ياحبيبتي ما رأيك أن ننتظرَ حتى تأتي المعلمة ؟ وافقت غالية على العرض. وما هي إلا دقائق قليلة حتى جاءت المعلمة، وأمسكَت بيد غالية، ودخلتا المدرسة. وعدت إلى مدرسة البنين من غير قلب.

دخلتُ لتقعَ عيني على عشرات من طلاب الصف الأول في يومهم الأول ينتظرون من يبتسمُ لهم، ومن يمسح على رؤوسهم. فرحتُ أرحِّب بهم، وأسائلهم، وأضاحكهم حتى بدأت أسارير وجوههم بالتمدُّد وخطواتهم بالانطلاق وأعينهم المتعلقة بي بالتحرُّر. وأقول في نفسي: لعل أحداً يمسحُ على رأس غالية أو يأخذُ بيدها.

وزَّعت الطلابَ المستجدين على معلميهم وسرقتُ نفسي لأتصل بالقسم التمهيدي لعل أحداً يرد علي فأسألَه عن غالية. وبعد محاولات عديدة تمكَّنت من الاتصال بمعلمتها، فطمأنَتني، وأدخلت السرور على قلبي عندما قالت : غالية ما شاء الله عليها جيدة واجتماعية.

عدت مع ابنتي أكثر سعادة وفرحاً . فالحمد الله الذي أودعَ في ثنايا القلوب الحنان، وغرسَ في النفوس بذورَ الرحمة لأن الحنان والرحمة مادتا الحياة وبدونهما تنعدمُ السعادة . فيا رب صُن ضحكة الأطفال،واحفظهم لآبائهم وأمهاتهم،واجعلهم عدة المستقبل الواعد وجنود الأمة المخلصين.

الرياض ١٤٢٦/٨/١٠هـ

كُلُّ عُصفورٍ يغرِّدُ

رنَّ جرسُ الهاتف وإذا المشرف العام على المدارس يتصل بي قائلاً: سأرسل لك طالباً يعاني من تأخُّر دراسي بالإضافة إلى كونه مدلّلاً، آملُ أن تقابلَه لنرى إن كان بالإمكان إجراء خطَّة علاجيَّة تردمُ الفجوة بينه وبين أقرانه.

شكرت الأستاذ خالد (المشرف العام على المدارس) على هذه اللَّمسة التربوية النبيلة تُجاه هذا الطالب وأبديْتُ كامل الاستعداد لذلك.

جاء الطالبُ يترنَّح من الدلال مثقلاً بالحنان، ومكلَّلاً بالثَّراء الذي بدا على ملابسه وحقيبته الجميلة وما إن فتحتُ الحقيبة حتى داهمتني إشارات الاستفهام التي تُذيِّل التمارين والتدريبات غير المحلولة فضلاً عن الدفاتر التي تبدو خاويةً على عروشها إلا من بعض الطلاسم التي لا تُحَل.

سألتُ الطالب عن اسمه وعن ألعابه المفضَّلة، ثم قدَّمتُ له هديةً وبعضَ الحلوى أملاً في أن أسكُبَ في مسمعيه قصيدةً من الأنس، وفي نفسه كأساً من الأمان، انفتح قلبُه، وحُلَّت عقدةُ لسانه، وراحت عفْويته البريئة تُطلقُ أجنحتَها للريح.

ما رأيك في المدرسة؟ أليست جميلة؟ قال: جميلة جداً جداً،... مليون.لقد انتهت المقابلة مع سلطان وطمأنتُ وليَّ الأمر و المشرفَ العام بأن الطالب لديه قابليَّةٌ ممتازة للتعلُّم، وسأضعُ له خطَّةً علاجيَّة بالاتفاق مع معلم الفصل المتخصِّص في التعامل مع طلاب من هذه الفئة.

جاء الطالبُ في اليوم الثاني ففتحَ له المعلمُ صدرَه حباً وأنساً وبدأنا نتعهَّده بالرعاية،ونعطيه الجرعات العلاجية قطرة قطرة وكلما أرانا من نفسه جداً وتقدماً كافأناه بطرق مختلفة وبشكل مُتقطِّع لكي لا يسأم التشجيع.

وكلما تسلَّلَ الفُتورُ إلى نفسه قلَّدناه منصباً فتارةً يكون عريفاً، وأخرى مسؤولا عن الإذاعة، أو مسؤولا عن الطباشير، وهذه المسؤوليَّات تُشعر الطالب بقيمته وأهميته وتكون بمثابة محفِّز ينعكس بصورة ايجابية على نفسية الطالب وتعلُّمه.

لقد تغيَّرت الدنيا بناظري سلطان، وجدران الفصل الجامدة تحولت إلى مناظر ربيعية تعجُّ بأنواع الزهور والورود. وقلمُ الرصاص المقيت أضحى ريشة فنان ساحرة. والطلاسم التي كان يراها على صفحات الكتب حُلَّت وأصبحت بنظره آيات من القرآن الكريم يتلوها، و أناشيد يردِّدها، ومسائل في الرياضيات يحلُّها.

أما الجرعة الأخيرة فكانت صقل شخصية سلطان المترهِّلة، حيث يبكي لأقل الأسباب، ويتألم لأدنى لمسةٍ من زملائه، بدأنا نقدَحُ أفكارنا من أجل تقوية شخصيته، وغرسِ بذور الرجولة في نفسه، وكان ذلك عن طريق قِصص الصحابة وتضحياتهم تارة، وعن طريق عبارات التشجيع التي ملأت مذكّراته تارة أخرى..

تأثَّر بشخصية خالد بن الوليد،وراح يحدِّث أبويه عن حبِّه له، وبدأت أمنيةٌ غالية تداعبُ خياله وهي أن يصبح طياراً في المستقبل.

غرَّد العصفور، وشدا البلبل، وترنَّم القُمري من فوق الغصن الزاهي الذي تفتَّقت براعمُه وأورقت أزرارُه وفاحت أزهاره في مدَّة لا تزيد عن فصلٍ دراسيٍّ واحد.

وعندما سألني أبو تركي، بعد أسبوعين عن مستواه الدراسي أجبتُه بأن سلطان أصبح طالباً ممتازاً، يحبُّ المدرسة ويتفاعل مع الأنشطة وعلاقته جيدة مع زملائه.عندئذ ابتسم المشرف العام وقال :((إن تميُّز المعلم وجهده إنما يظهر على الطالب ذي القدرات العلميَّة الضعيفة.((فقلت : بلى ، ورُحت أفكِّر في دلالات هذه الجملة الرَّصينة التي نسجت الخبرة الطويلة حروفها ورتَّبت نقاطها.

الرياض ١٤٢٦هـ

ليتَني بدينٌ

مرَّ الأسبوع الأول من العام الدراسي بخطىً وئيدة وساعات طويلة على طلاب الصف السادس الابتدائي الذين أضافوا إلى باقة زهورهم وردةً جديدة ممتلئة بالرحيق، إنه سعيد الذي تركَ ذكرياتِه الجميلة في مدرسته الأولى مُوزَّعة بين أدراج المناضد وفي ساحة المدرسة وأفنيَتها.

تعهَّدتُ سعيداً بالرعاية فتارة أمسحُ على رأسه، وأخرى أسأله عن انطباعاته عن المدرسة التي أودعهُ أبوه فيها طمعاً بتحصيل علميٍّ متميز. وتارة أشيدُ بأخلاقه العالية وحُسْنِ تعامله مع الآخرين أمام زملائه، فضلاً عن بطاقات التفوق والجوائز الكثيرة. كلُّ ذلك من أجل أن نحتضنَ سعيداً ونحتوي غربتَه.

دارت عجلةُ الأيام، وكاد الفصلُ الدراسي الأول يوشكُ على النهاية، وزهرةُ سعيد منكمشة خجلى على الرغم من سؤالي المتكرر للمعلمين عنه، وحثهم لسقاية هذه النبتة ريثما تألَف جذورها ثرى المدرسة الغريب.المعلمون يشيدون بجدِّه وتعامله ما الأمر إذاً يا ترى ؟ لقد ساورني الشك، فاستدعيته إلى مكتبي.

لاطفته قليلاً لأنتزعَ منه الابتسامة التي سهَّلت بوحَه ومعاناته قال: يا أستاذ عقَّدوني . ومن هم أولئك ؟ قال: معظمُ طلاب الفصل، كيف ذلك ؟فقال: يقولون لي يا بدين وبلغة الأطفال المعتادة ' دب ' وسالت الدمعات السَّاخنة على الخدود الممتلئة. هداك الله يا سعيد. لماذا لم تخبرني بذلك أو تخبر المرشد الطلابي ؟ إنهم مخطئون أنت قويٌّ ومعافى. أنا هنا بمنزلة والدك... ينبغي أن تخبرَني بكل احتياجاتك..... حتى إذا نسيت مصروفك اليومي أعطيك إياه .

حسناً يا بني اذهب إلى فصلك. وبدأت أفكّر في خطَّة علاجيَّة لرفع معنويات سعيد ولكي أثني زملاءه عن السخرية من بدانَته.وفي الاصطفاف الصباحي من اليوم الثاني أعلنتُ على الملأ أنَّ عرفاء الفصول الجدُد ستُعلَنُ أسماؤُهم يومَ غدٍ. وفي اليوم الثاني كنت قد جهَّزت بطاقات العرفاء التي تبدو في عيونهم أجمل من اللؤلؤ بألف مرَّة.

تقلَّد سعيدٌ بطاقتَه وبدأت العيون تتَّسِع وتضيق، والتساؤلاتُ الحائرة تتبدَّى على ملامح الوجوه.لقد استجابت الزهرةُ الغضَّة لأول جرعة من العلاج، رأيتُه في الفسحة الأولى منتعشاً متألقاً.نظرتُ إليه فابتسم وكأنه يقول:كلُّ شيءٍ على مايرام.

ولكن دموعَ سعيد التي سالت على خدَّيه لاتزال تسبِّب لي الألم وتخزُني كما الدبُّوس الحاد.هداني الله لإحضار كتلةٍ حديدية من غرفة التربية البدنية . ناديت سعيداً وقلت له: اختبر عضلاتك. شمَّر سعيدٌ عن ساعديه وحملَ الكرة الحديدية بسهولة. لقد فوجئتُ حقاً من قوَّته وهو لايزال غضُّ البنية.

استأذنتُ من معلم التربية الفنيَّة ودخلت الفصلَ، وشرعت أتحدَّثُ عن أثر الصحة في حياة الإنسان وأن الجسمَ الصحيح والمعافى يدلُّ على عقل سليم، وأن أصحابَ الجسومِ الصحيحة و الذين يتناولون الغذاء المتكامل من الحليب واللحوم والخضراوات هم الذين يتمكَّنون من دفع المرض عنهم بإذن الله.

تعالوا لنختبرَ الآن قُواكم. وأبرزتُ الكتلتين الحديديتين فقال الطلاب بصوت واحد: يا إلهي ! من يستطيع حملَها ؟ لا أحد. اخرج يا خالد . حاول خالد ولكن من غير جدوى. وأنت يا أحمد . حبس أحمد أنفاسَه واستجمعَ قواه ولكن يا للخيبة لم تتزحزح الكتلة من مكانها.

هل تستطيع يا سعيد حملَها ؟ قال : أحاول. خرج سعيدٌ وانتزعَها من مكانها كما ينتزع الصقرُ العصفورَ من بطن العش. صفَّق الجميع للبطل. أحسنت يا سعيد. فأنا ما اخترتك لتكون عريفاً للفصل إلا عندما تأكدت أنك قوي ومجد.قام سامرٌ من فوره وقال: يا ليتني بدين.

لقد انقشعت الغيومُ عن الرابية الخضراء وفتَّحت زهرة نفسه الحمراء ترفرف فوقها ومن حواليها أسراب الفراش والنحل.

حلب / ٢٠٠٠ م

فِدى عينيك

إن من أروع الصُّور التي تراها في المدرسة وفي كلِّ مدرسة هي استجابةُ النُّفوس البريئة، المفطُورة على الإسلام، لنداء الحق الذي يملأ الأفقَ بهاءً وعُذوبة.فما إن ينتهي الأذانُ حتى تجد الطلاب وقد جاشَت عواطفُهم وتحفَّزت نفوسُهم لكي يتَّصلوا بالخالق عَزَّوَجَلَّ.

ينزلُ الطلابُ بانتظام يتقدَّمهم رائدُ الفصل، وإذا ما ولجُوا المصلَّى فإنهم يشرَعون بتأديةِ السُّنَّة ولكلِّ طالب مكانٌ محدَّد. في هذه اللحظات الحاسمة احتلَّ ريان مكانَ زميله سلمان فثارت ثائرةُ سلمان وهاج وماج لأن الأمرَ ليس سهلاً بنظره. فما كان منه إلاَّ أن ضربَ ريان الذي ردَّ عليه بسرعة البرق بضربة موجعِة لامسَت عينَه قبل أن يصلَ المعلم لدرءِ الخطر.قال المعلم: هداكم الله ، تأدَّبوا يا أولاد. وليَقِفْ كلّ واحدٍ منكما في مكانه.كبَّر الإمام وأدَّى الأبناء الصلاة، وعادوا إلى فصولهم.

وبينما أتجوَّل في ساحة المدرسة وإذا بسلمان يخرجُ من غرفة الطبيب وعينُه معصوبة. يا إلهي ! ما بك يا سلمان ؟ قال: ريان ضربَني على عيني.ذهبتُ إلى الطبيب الذي أبلغني أن القرنيَّة فيها خدشٌ يسير. ناديتُ ريان ووجَّهته بشدة وقلت له: هل ترضى أن يفقدَ زميلُك بصرَه بسببك ؟ ألا يُؤلِمك ذلك ؟ وأجْهشَ بالبكاء. واعتذرَ من سلمان الذي سامحَه وصفحَ عنه.

عندئذٍ اصطحبتُ الطالبين إلى غرفة الأستاذ عبد الله المرشد الطلابي الذي قامَ بدوره التربوي معهما على الشكل الأكمل واتَّصلتُ بوالده لكي أمهِّد الأمرَ حتى لا يتفاجأ بالحدث ولكن دون جدوى. اضطررت أن أكلِّم أهل الطالب في المنزل حيث استقبلوا الخبر بمنتهى التَّسليم للقضاء قائلين: إن الأمر يسير، وقدَّر اللهُ وما شاءَ فعَل، إلى آخر ما تعرفون من عبارات الرضا والاحتساب في مواقف كهذه.

أزلتُ العصابَة عن عينِ سلمان لكي لا تُفاجأ أمُّهُ برؤيته.وعندما وصلتُ إلى البيت اتصلتُ بأبي ريان وأخبرتُه بالقصَّة فقال: هداهم الله ولكن كلا الطالبين مخطىء. قلت: نعم، ولكنَّ سلمان هو الذي تأذَّى. وأنا لم أتَّصل بك إلا ثقةً مني بنُبلك وطيب أخلاقك. قال بأريحيَّة تامة: أنا جاهزٌ لكل ما تري، فما المطلوب مني ؟ قلت: إن

الأبناء فِلْذاتُ الأكباد ولكَ أن تتخيَّلَ قلبَ أمِّه ولهفة أبيه عليه عندما يريانه على هذه الحالة. فإذا بادرت بالاتصال بوالد سلمان فإنه سيحفظُها لك وتكون لمسةً نبيلة منك تُطفِئُ جمارَ قلوبهم المتَّقِدة حزناً وألماً.أخذ أبو ريان الرقم،وطلبت منه ألا يتَّصل في الوقت الحاضر وأن يؤجِّل الأمر إلى ما بعد العصر ريثما تهدأ نفس أبي سلمان. في هذه الفترة كنت قد اتَّصلتُ بأبي سلمان وواسيتُه على ما حصَل قائلاً:إنَّ القدرَ لا شكَّ واقع،وهذا أمرُ الله، وأن الأطفال يحصلُ لهم أشياء كهذه بسبب فرْطِ حركتهم، ووالد ريان متأثر جداً جداً لما حصل لولدك، وسيتَّصل عليك من أجل الاطمئنان على صحَّته.

هدَأ روعُ أبي سلمان وانفرجَت أساريرُه، وراح يتكلم بلغةٍ ملؤها النبل والأخلاق والتسليم بالقدر. وفورَ انتهائي من الحديث معه اتَّصلت بأبي ريان أبَشِّره بردَّة فعل أبي سلمان الإيجابيَّة والمُتوقَّعة. اتصل أبو ريان به وأبدى الأسفَ لما حصل وقال له: عينا ريان وعيناي فداء لسلمان. سُرَّ الأبُ المجروح بما سمعه وهدأت نفسُه وردَّ على أبي ريان بما يدلُّ عن أخلاق ونبل.

هدَأت الزوبعةُ إلا أن قلقاً كبيراً يُقِضُّ مضاجعَنا، إنه عين سلمان المخدوشة حيث وعدهم الطبيب بإعطائهم النتيجة صباحَ اليوم التالي ريثما تتجَلّي نتائجُ الفحوص والتحاليل. كانت ليلة ثقيلةً ما عرفتُ فيها طعمَ النوم إلا قليلا.

ولكن الليلة كانت أثقل بآلاف المرات على قلبَي أبي سلمان وأمه اللَّذين ما فتئا يدعوان الله أملاً في شفاء عين ولدهما.

في صباح اليوم التالي أشرقت شمسُ الأمل، وفاحَت زهورُ الشفاء، وعادَ الضياء إلى العين الجميلة.سعِدنا جميعا، وعاد سلمان إلى المدرسة وقد اشتاقَ له زملاؤُه كثيراً، و تقلَّدَ جائزةَ ووسامَ الطالبِ النظيف.تعانقا هو وريَّان وكلٌّ وضَع يدَه على كتف زميلة، وأطلقا أرجلهما للريح وكأن شيئاً لم يكن.

الرياض ١٤٢٧هـ

الطبيب المريض

لقد بالغَ في اهتمامه بتعليمِ ولده الصَّغير الذي لمَّا يتجاوزِ السنواتِ الخمسَ، فكان يَتَّصل بي مُستفسراً عن كل ما يتعلَّق بتعليم الأطفال، ويسألُني عن بعض القِصَصِ الهادفة التي ينبغي أن يُحضرَها، وبعض الأقراص المضغوطة التي تحتوي على أناشيدَ يحبُّها الأطفال، وكان ذا أريحيَّة يحترم خبرات الآخرين وطالما استشارني في الأسلوب التربوي الأمثل الذي ينبغي أن يَتَّبِعَه مع ولده.

أنهى محمدٌ تعليمه في قسمِ رياضِ الأطفال، ووصَلَ ملَفُّهُ إلى المدرسة الابتدائية قبل أن نُكَحِّلَ أعيننا بالمُبدعِ المُنتظَر. كان المَلَفُّ ينبئ عن طالبٍ مُجدٍّ . وفي أوَّل يوم من أيام الدراسةِ الفعليَّة حَضَرَ الطبيبُ واستأثرَ بمُعظَم الوقت على الرغم من انشغالي الشديد باستقبال عددٍ كبيرٍ من طلاب الصف الأول، وكان حديثه يدور عن الموادِّ المُساعدة، وعدد حصصِ اللغة الإنجليزية ، وعن الحاجة إلى مُذكِّرة داعمة لمنهج الرياضيات وغيرها من الأمور التي يُثيرها أصحاب الخبرة أمثالُ صاحبنا.

مَرَّ الأسبوع الأول من الدِّراسة وفي بداية الأسبوع الثاني بدأت أسألُ المعلمين عن انطباعاتهم الأوليَّة عن أبنائهم الطلاب. وقد ركَّزت في الحديث على محمد إلا أنَّ إجابة أستاذه كانت مقلقةً. فقلت للمعلم: تأكَّد مما تقولُ ياأستاذ . قال: لا تتعجَّل فالأيام القادمة تَكشِفُ الغثَّ من السمين.

وفي كل يوم يتَّصِل والده بلهفة ورغبةٍ، وكان يُركِّز على اكتشاف مواطن الذكاء والإبداع في شخصية ولده. وأنا أُطمئنُه بعبارة جيد وغيرها، ريثما يمرُّ شهرٌ على الأقل لأتمكَّن بمساعدة معلمه من إصدار حكم معقول على الطالب.

بَدَأَ الأسبوع الثالث ولم يَلمس الوالد الحريص أو يلحَظ على ابنه ما يُرضي طُموحه . جاء إليَّ في المكتب وقال: يا أستاذ...! يبدو أن المعلم ليس بالصورة التي قدَّمته فيها، فولدي حتى الآن لا يميِّزُ بين الألف والباء و لا يَعرف السَّطر من النُّقطة. قُلت:لا تتعجَّل بالحكم، الأستاذ ذو خبرةٍ جيدة في تعليم الصغار فهو المعلم المثالي والمربِّي الناجح. وبعد أن أنهى الطبيبُ حديثَه يمَّمتُ وجهي شطرَ فصل المعلم، وطلبتُ منه الحضور في حصَّة الفراغ ، وعندما حضر بدأنا بمناقشة مستوى محمد . قال لي

المعلم : محمد عنده مشكلةٌ في الذاكرة... لقد صُعقتُ حقا . وأردفَ قائلاً: إنَّ ذهنه لا يحتفظ بالمعلومة لأكثر من جُزءٍ من الثَّانية. ولم يهدأ لي بالٌ حتى أحضرتُ الطالب، وقمتُ بإجراء اختبار له وإذا به كما وصَفَهُ المعلم، عندئذٍ شعرتُ بالألم تُجاه والده الذي ساقَهُ الشكُّ بِقدرات المعلم إلى نَقل ولده إلى مدرسة أُخرى.إنه في الحقيقة سينقلُهُ إلى مدرسة أُخرى، غير التي يحملُها في ذهنه.إنَّها مدرسة ذوي الحاجات الخاصة.

حَضَر الأبُ وكانت الصَّدمة- التي لامناصَ منها- عندما أخبرتُهُ بحقيقة الأمر . لقد بكى الطبيب وذرفَ دموعَ الألم والخيبة، وبدأ يُكرر عبارات الاعتذار من كلينا. وفي الساعة التاسعة مساءً من نفس اليوم اتَّصل بي قائلاً:

الولد يُعاني من مُشكلة دماغية،وأرجو أن تساعدني في تجاوز هذه المحنة بتعزيزه معنوياً بالهدايا والملصقات وغيرها لأن العلاج الذي وصفه الطبيب له بعض التأثيرات الجانبية .

أمضى محمد الفصل الدراسي الأول وقد غمرناه بالتشجيع والحنان تقديراً منا لظروفه التي يعيشها ومعاناته مع الجلسات في العيادات النفسية وغيرها. وفي كل مرة يأتي فيها أبوه يلومُ نفسَه بسبب بُعْده عن ولده وعدم فهمِه الحقيقي له، واعترف أنَّ اهتمامه بولده كان صوُريًا ظاهريا تُحركه العاطفةُ الأبوية . ومما قاله لي:إنه لكثرة مشاغله في السنوات المُنصرمة كان قد نسي أن يُعطيَه أحد اللَّقاحات الأساسية .

وعندما سألتُه عن أُمه ودورها ؟ قال: هي أكثر مني انشغالاً: هي طبيبة نسائية شهيرة. وأنا قررت الاهتمام بمحمد كي لا أكرِّر غلطتي مع أخيه الأكبر الذي....!! ولم يتمكَّن من إكمال مأساة ولده الأكبر.عندئذ تذكرتُ قول شوقي :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همِّ الحياة وخلَّفاهُ ذليلا

إنَّ اليتيم هو الذي تلقى له ... أماً تخلَّت أو أباً مشغُولاً

فاعلموا يا أيها الآباء والأمهات أن متابعة الأبناء ورعايتهم أهم بآلاف المرات من الشُّهرة والعمل ومسامرة الأصدقاء وتلبية الدعوات . لأنَّ إغفالهم وإهمالهم يَجلبُ لكم في نهاية الأمر ندامةً وحسرةً في الدنيا وفي الآخرة. وما من نجاح أو فرح أعذَب وأجمل من نجاح الأولاد.

سوريا ١٥/٣/١٩٩٩م

badrhussain@hotmail.com

obeikandl.com

من عوالم الصف الأول

كان الجميع يُهَنِّئون والديَّ على ما أنْعم الله عليهما من نِعْمة الذُّرِّيَّة، فإخواني وأخَواتي كُلُّهُم في رِكاب العلم، أما عن آخِرِ العُنقود "عبد الله" - حَضرتي طبعاً فأعُدُّ حتى الرقم عشرين، وأُسمِّي جميع الألوان، وأحفظُ بعض الأناشيد، وأحفظُ الفاتحة، وسورة الإخلاص على الرُّغم من أنَّ أمي لم تُدْخِلني الروضة ولا التمهيدي لأنَّني بِتُّ أنيسها الوحيد، وكنتُ بالنسبة لها آخر الزهور البيتيَّة التي تَشَمُّ منها عَبَق الطفولة لِتروي ظَمَأ الأمومة في داخلها. كان عندي حقيبة وبعض الدفاتر والكثير من الأقلام.

كُنْتُ أحْلَم بالمدرسة، وَأُصوِّرها على أنَّها أناشيدُ جماعية، وألعاب مُسَلِّيَة، وأكْوام مُزَركَشَةٌ من جميع صُنوف الحلوى. ولَرُبَّما اضطُرَّ المعلم لكتابةِ بعض الحروف والأرقام على السَّبُّورة، وَرَدَّدنا معه ما كتب، ولم تكُن صورة المعلم بنظري أقلَّ روعةً من أكوامِ الحلوى، فكُنت أُصوِّرُه على أنَّهُ شَخْصٌ وسيمٌ جِداً، ليسَ بالقَصيرِ القَزَم ولا بالطَّويل العملاق- دائمُ الابتسامة، كُلُّ حركاتِهِ وتَصرُّفاتِهِ آداب، تفوحُ منه روائح الطيب،وتُعشِّشُ في راحتي كَفَّيه غُدرانٌ من الحنان، وَهَمساتٌ من الأُبُوَّة الحانية.

وماذا عن أقْراني الذين طالَ انتظاري لرؤيتهم ؟ فلا شَكَّ أنني سأُحبُّهم ويُحبُّونني، سأصادقُهم جميعاً لأعوِّض عن افتقادي الأصدقاءَ والأقران، سَألعب معهم وسَأجعلُ ذراعيَّ تستَريحان وهما تلتَفَّان حول رقابهم الغضَّة، كما كان يفعلُ أبناءُ جارِنا الصغار. سأُحدِّثهم عن أمي وأبي وإخوتي ، وعن عيادة أختي الطبيبة، وعن مزرعتنا الجميلة.

هاهي ذي مكتبةُ الحيِّ على تواضعها قد لَبِست حُلَّةً من الحقائب المدرسيَّة، وقد رَفرفت أعلامُ الزينة و تطايَرت النُّفَّاخات أمام باب المكتبة. ما الأمر يا أبي ؟ أجاب الأب: لقد اقتربَ افتتاحُ المدرسة، أي بعد أسبوعٍ من الآن فقط، وسَأُسَجِّلُكَ في أفضل المدارس. ما رأيك لو نزلنا عند تلك المكتبة لتختارَ حقيبتك المدرسية بنفسك ؟ ماذا

؟..نعم ....شكراً لك يا أبي ، لقد كانت لحظاتٍ ثمينة بحق ،كنتُ فيها أسعدَ طفلٍ في الدنيا.

أحْسَسْتُ أنَّ الصُّور المُزركشة أجملُ بكثير من ألوان الزهور والورود. ألوان الحقيبة جميلة وألوان حافظات الطعام تشدُّ الانتباه أكثرَ من الطعام نفسه. لقد اخترتُ الحقيبةَ وتوابعها بفرحٍ غامر، وعندما عُدتُ إلى البيت كان استقبالُ أمي حاراً إذ احتضنتني قائلةً: يوم السبت القادم تبدأ المدرسة. لقد اشتريتُ لكَ يا ولدي الملابسَ الجميلة التي سَتلبَسُها في اليوم الأوَّل. ما شاء الله يا عبد الله. ستصبح طبيباً إن شاء الله، وتعالج أمكَ، وتساعدُ المساكين.

أيقظني أبي في الصباح الباكر، فَنهضتُ من الفراش فرِحاً وبسرعة فائقة رتَّبتُ نفسي، وامتشقت حقيبتي وسبقته إلى السيارة .خرجنا من المنزل تَشيِّعُنا توصياتُ أمي الرؤوم. هاقد وصلنا المدرسة لتقعَ عيني باديءَ ذي بدء على أطفالٍ قد اعتصموا بآبائهم كما لو أن نَمراً فاغراً فاه سيَنْقَضُّ عليهم، والآباء مُنشغلون، هذا يشجِّع وذاك يحمِّس، وآخر يُحوقِل، دخلْتُ برفقة أبي ولم يَكُن حالي أحسنَ من أقراني، إلا أن أبي استغلَّ الموقف بذكاء قائلا: انظر، هؤلاء خَوَّافون! أما أنت ما شاء الله عليك. لقد جعلت كلمةُ أبي أعصابي المتهالكة تتماسكُ قليلاً.

استقبلنا أحَدُ الموظفين بلُطفٍ كبير، وبتُّ أُقلِّبُ الطَّرْفَ في جَنَباتِ المدرسة وأراجيحها. إنها سَاحةٌ رائعة.اقتربَ مني المعلم مبتسماً فَسلَّمَ عليَّ، وأوقفَني في الرَّتل مع أقراني. لعبنا ومرِحنا، وقرأتُ الفاتحة، وأجبتُ سؤالَ المعلم عن النَّبات الذي يبدأ بحرفِ القاف، وانتهى اليومُ الأول والثاني وهكذا كُلَّ الأسبوع.

في الساعةِ الأخيرة من آخر أيامِ الأسبوع سَلَّمَنا المعلمُ الكتبَ والدفاترَ، وأوصانا بتجليدها، والعنايةِ بنظافتها. ها هي نَبْرَةُ صوتِ المعلم قد ارتفعَت، وبدأت الابتسامةُ تَذوبُ في ثنايا لُغَةِ التَّهديد التي ماانفكَّ يُلَوِّحُ بها. لا عَلَيَّ... أختي فاطمة وعدَتني بتجليدِ الكتب.

ما إن وصلتُ المنزل حتى فَجَّرتُ تعليماتِ المعلم في أرجاءِ المنزل. استُجيبَت طلباتي فوراً، وأمسكتُ بالكتب واحداً تلوَ الآخر فقَلَّبْتُ جميع الصفحات، ورأيتُ جميعَ صُوَرِ الأولاد والحيوانات. الغداءُ جاهزٌ يا عبودي، الكتبُ لن تَهرُبَ منك . حاضر يا أمي، لقد بدأتُ الطعام ويرافقُني كتابُ القراءة، وطَفِقتُ أقارنُ بين شَكلِ الخَضراوات التي في الكتاب وتلك التي على المائدة، إن مَنْظَرَ التي في الكتاب أجملُ بألف مَرَّة، يا إلهي لقد انسَكَبَت مِلعَقةُ الحَساء على الكتاب. ماذا أقول للمعلم في الغد ؟ لقد لاحظت أمي قلقي الشديد تجاهَ ما حدَثَ، فَطَمأنَتني بقولها: المعلم لن يحاسبَك لأنك لا تزالُ في الصَّفِّ الأوَّل. على العموم هذا درسٌ لك لكي لا تَفعلها مرة أخرى.

كانت الحصةُ الأولى عندنا في اليوم التالي هي التربية البدنية، بيدَ أنني لم أستمتع باللعب، ولم يكن مفعول عبارات أمي أكثر من مفعول حبَّة الصُّداع التي سرعانَ ما ينقضي. انتهت الحصةُ وبدأت تخورُ قواي. الجميعُ يصعَدُون الدرجَ بسرعةٍ فائِقَةٍ ورشاقة لافتة للنَّظَر، أما أنا فأجُرُّ رجليَّ جراً كما يُجرُّ المظلوم إلى السجن. دخل المعلمُ وقد أغلقَ الباب على الأرانب المذعورة، إنه كالأسد تَنهَّدَ قائلاً:. لا أسمح لأحد أن يتغيَّبَ ولا أن يتأخر عن الحصة الدرسية. وأهم من ذلك كله التزام الأدب .من يسمح لأخيه أن يكتبَ له الواجبَ فسأجعله يكتبُ الدرسَ عشر مراتٍ. ونحن نحبسُ أنفاسنا، وَنلجِمُ حركاتِنا، وكأنَّ على رؤوسنا الطير.

والآن أخرجُوا الكتبَ لِنَتَعَرَّفَ الصُّورَ التي في الكتاب، وكِدتُ أكشِفُ نفسي فكلما اقتربَ مني المعلم أو وَجَّهَ عينيْهِ باتجاهي انهارت قواي، وارتجفت شفتاي. مرَّ اليوم الأول والثاني والثالث ، وأنا لست مرتاحاً فلا أشعر بلذَّةِ الطعام ولا طعمِ الحلوى، وعندما أشرعُ في بثِّ ما بي لأمي لا تلقي لي بالاً بِمُجَرَّدِ تنويهي لقضية مِلعقة الحساء. أمي تظنّ أن الأمرَ سهلٌ .هو سهلٌ عليها لأنها لا تعرف كيفَ صرخ عليَّ المعلمُ معاتباً ، وقد فَتَحَ عينيه وبدأ يُجيلُ الطَّرف في تقاسيم وجهي المتجمِّد.

في اليوم الرابع اقتربَ مني المعلم، وابتسمَ لي فأنا من أكثر الطلاب مشاركةً في الصف. أجيبُ عن كل الأسئلة، وأقرأُ جميع الكلمات.عندئذ انتَهَزْتُ الفُرصة، وابتسمتُ للمعلم معترفاً بالجريمة النكراء التي ارتكبتها بحقِّ الكتاب بنفس الطريقة التي أكشِفُ فيها عن أخطائي لأمي.و قبل أن أكملَ القصة وقعت عينا المعلم على آثار الحَساء فصرخَ بأعلى صوته . ما هذا ياعبد الله ؟ أخرِجُوا كتبكم جميعاً لأفتِّشَها.

لم تعُد مساحةُ عينَيَّ الصغيرتين قادرتين على احتواء سيلِ الدموع الذي أمطرت غيمتَه شرارةُ المعلم التي أطلقها من عينيه. ومما زاد الطين بِلَّةً دخولُ أحد الموظفين فاستبقَه معلمُنا بحماسةِ قائلاً: مارأيك فيمن يوسِّخ كتابَه ويشرشِرُ عليه الزيتَ والشوربة ؟ قال الموظف: الطالب الذي لا يهتمُّ بنظافةِ كتابه لن يذهبَ إلى الرحلات مع أقرانه.

يا إلهي ! لقد كَبُرَت مشكلتي، وتَطوَّرت حتى وصلت إلى الإدارة وربما تصل إلى الشرطة ولربما سجنوني.

لم تعُد عندي رغبة في الدراسة لولا أن معلم الرَّسم كان يمنحني الحياة ويَرُشُّ على صفحاتِ نفسي بعضَ الندى من خلال لطفهِ وحنانهِ وسَعَةِ صدره، حتى عندما تَعَثَّرتُ بِعُلبةِ الألوان السَّائلة التي كان قد تَعِبَ في مَزجِها لِيرسُمَ على الجدار لَوحَةً جميلَةً على الأرض لم يغضب، وقال: هَوِّن عليك. تابع الرسم ولاتهتَمّ .

لاحظ أبواي عدمَ رغبتي في الذهاب إلى المدرسة وأصبح ذلك جليَّاً وبيِّناً بعد أن سمعتُ معلمنا يضحكُ بأعلى صوته في الساحة، ويحكي لبعض المعلمين عن الطالب الذي كان يأكلُ وقد وضعَ الكتابَ في حِجره وبدأ الكتابُ يستقبلُ جميعَ الملاعق الطائشة ، والمعلمون يضحكونَ ملء أفواههم ، وعندما مررتُ أشار المعلم نحوي وقال لزملائه: هذا هو، وكأنني بنظرهم من غير إحساس، يا ليتهم عرَفوا مدى حساسيتي وفهمي لكل ما يدور حولي. بعد ذلك بدأتُ أتذرَّع بآلام البطن، عندما لم تعُد قصَّةُ الحساء ذات جدوى، وكنت

obeikandi.com

أتألَّمُ عندما يأخذني أبي إلى الطبيب الذي يطلب التحاليل المكلفة..كل ذلك لكي لا أذهب إلى المدرسة ولا أرى وَجهَ معلمنا.

كَبُرت مأساتي، وبدأت تنتَقِلُ من كراهية المعلم إلى كراهية كل مايَمُتُّ إلى المدرسة بِصِلة. وبتُّ أمقتُ الطريق التي تؤدي إلى المدرسة. تحوَّلت رغبتي في الدراسة ومشاركاتي المتميزة في الصف إلى محاولات في فنِّ مهارة التواري خلفَ ظهور زملائي مغَبَّةَ أن يَسألني المعلم سؤالاً.

لقد تَلاشَت الصُّوَرُ الجميلةُ التي كنت أحمِلُها عن المدرسة، وتَبَخَّرت الأحلامُ التي نَسجتُها عن مَحَبَّةِ أصدقائي، أما حُلُمُ أمي في أن أُصبِحَ طبيبا فقد ماتَ في أرضِهِ ولم يُكتَب له أن يبرحَ مساحةَ مخيلتها. تَكَسَّرتْ في ذاتي مرآة الغد الذي طالما حلُمتُ به.كلُّ ذلك من أجل بقعة الحَساء التي شوهت وجه الكتاب.

ليبيا طرابلس- ١٩٩٤م

badrhussain@maktoob.com

obeikandl.com

الخاتمة

بنعمةِ الله وفضله تتمُّ الصالحات، وتفوحُ الكلمات، وتعذُبُ العبارات، وتجري اليراعةُ بانسياب، ويتدفّق المدادُ تدفُّقَ الماء السلسبيل على اللُّجين.إنَّ ما أمطرَتهُ سحابةُ ذكرياتي على روابي هذه الأوراق الناصعة هو رحيقٌ جمعتهُ فراشات قلبي من زهور الدنيا وبراعمها .لقد عشتُ أحلى وأندى وأغلى أيام عمري مع براءة الأطفال وصفائهم ورحابة أخيلتهم وعبثهم المحبَّب.

كُنتُ أعود - ولا أزال - من المدرسة فرحاً سعيداً، أحمل في جَعبةِ ذاكرتي عشراتِ القصص والمواقف الطريفة التي تنتظرُ زوجتي وأطفالي سماعَها بشغف.

عشتُ مع الطلاب معلّماً وأمينًا لمصادر التعلم، ومشرفاً تربوياً وتعليمياً ووكيلاً وكاتبا ومُعداً للبرامج في قنوات الأطفال التلفزيونية وشاعراً يكتُبُ لهم الأناشيد. كلما انتقلت من مرحلة إلى أخرى كان حُبِّي لهم يتضاعف، وخوفي عليهم يزداد لكثرة ما أراه من التفريط والتَّقصير في حقّهم من قِبَلِ الآباء والأمهات و معظم مؤسسات المجتمع.

الأطفالُ هم مرآةُ الأسرة والمجتمع والأمة. هم أشبه بالغراس، فإذا زاد اهتمامنا بها أعطَت ثماراً أفضل.فالطلاب عموماً وطلاب المرحلة الابتدائية على وجه الخصوص يحتاجون إلى المعلم الذي يحاكي الجوانبَ المضيئة في خمائل نفوسهم البريئة، ويضعُ يدَه على مواهبهم فينمِّيها ويرعاها، ويكتشِفُ مواطِنَ الضّعف عندهم، فيسعى إلى معالجتها بالطرق التربوية المناسبة كما يعالجُ الطبيب المرضى.

نحن بحاجة إلى ذلك المعلم الذي يؤثِّر و يُبدع في إيصال المعلومة،ويتواصل مع الدَّوريَّات والبحوث العلمية ويَجِدُّ في حضور اللقاءات التربوية والمحاضرات المفيدة. إنما العلم بالتعلُّم والحلم بالتحلُّم .

نحن بحاجة إلى المعلم الذي تمتلئ يدُه بالدفء، ويفيضُ قلبه بالحنان، ويتلألأ الأمل في عينيه، فيوقِدُ جذوة الرَّغبة في نفوس طلابه قبل أن يلقِّنهم حروف الأبجدية، ويُعرِّفهم جدولَ الضرب.

وفي الختام أهمِسُ في آذان الآباء والأمهات همسةً حانية تدعوهم لتوفير بيئة أُسريَّة مستقرة تضمنُ لأبنائهم صحَّة نفسية وابتسامةً صافية تحملُ أمانيَّهم الواعدة وتطيرُ بها فوقَ خمائل الأدب وأزاهير العلم.

سورية معرة النعمان- الغدفة

٢٠٠٦/٧/٥ م

badrhussain@hotmail.com

obeikandl.com

الفهرس

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

صفحة الغلاف ١

تقديـــم الدكتور وليد قصاب.................................... ....٥

مقدمة المؤلف. ٧

الإهداء.. ....٩

الوحدة واليتم ١١

خمشُ الهرَّة. ١٣

التعليم عن بُعد.. ....١٥

الثؤلول المحرج ١٩

السبورة الماكرة ٢١

ابتسامة بالمقياس. ٢٥

أشياء غيري تجذبني.. ....٢٧

الأماني الجريحة ٣١

الجمعية الخيرية ٣٣

الحضن الجريح.. ....٣٥

الحياء لا يأتي إلا بخير ٣٧

السنُّ الغالية.. ....٣٩

الصَّبر الجميل ٤١

الصَّيفَ ضَيَّعت اللبن ٤٥

الطالب الأمين.. ....٤٧

العقل السليم في الجسم السليم ٤٩

obeikandl.com

كأس الطالب المثالي.. ....٥١

جائزة الطالب المواظب.. ....٥٥

حُلم التفوُّق ٥٧

أريج السخاء في نفوس الأبناء ٥٩

مفاجأة الإجازة.. ....٦١

همسة حنان ٦٣

ومن الحب ما قتل ٦٥

مشعل والحصَّة القاتلة.. ....٦٩

وطُمسَت النجوم ٧١

فوحُ الدَّافعية ٧٣

شهيدُ الأبجدية ٧٥

انتماء البراعم.. ....٧٧

من الصعوبات إلى الإبداع.. ....٧٩

من نسمات الفؤاد ٨١

كل عصفور يغرد ٨٥

ليتني بدين.. ....٨٧

فدى عينيك.. ....٨٩

الطبيب المريض.. ....٩١

من عوالم الصف الأول ٩٣

الخاتمة.. ....٩٧

الفِهرس.. ....٩٩

obeikandl.com

معلومات عن المؤلف

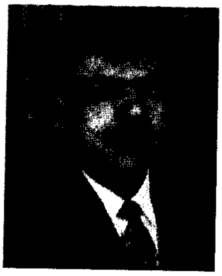

الاسم: بدر محمد عيد الحسين

العنوان: سوريا- معرة النعمان- قرية الغدفة

تاريخ الميلاد: ١٩٦٩م

المؤهلات العلمية: إجازة جامعية في الأدب الإنجليزي من جامعة حلب ١٩٩٤م

- دبلوم تأهيل تربوي من جامعة حلب ١٩٩٨م
- عملت مدرساً في مدارس سورية لجميع المراحل.
- عملت مدرساً ومشرفاً تعليمياً وأميناً لمصادر التعلم والآن وكيلاً لمدارس لعليا الأهلية في الرياض

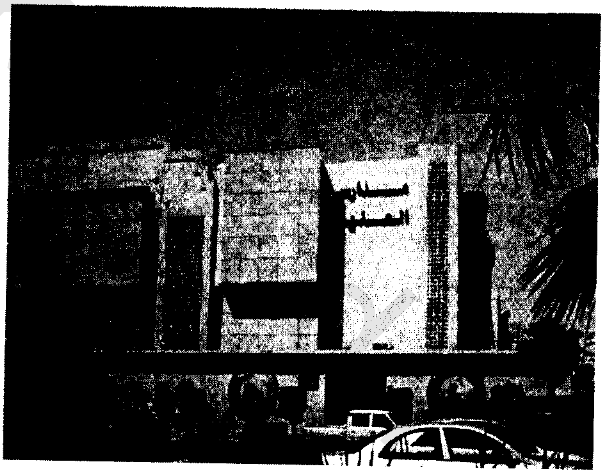

obeikan.com

ـ نُشرت لي عشرات المقالات الأدبية التربوية والقصائد في المجلات الأدبية في المملكة العربية السعودية.

ـ أعمل معدا لبرامج الأطفال في القنوات الفضائية.

ـ من أعمالي الأدبية. ديوان شعري بعنوان ((أكبادنا)) تحت الطبع.. وكتاب بعنوان ((فرسان الصبر)) وكُتيِّب للأطفال بعنوان ((دوحة الحروف))

للتواصل مع المؤلف

badrhussain@hotmail.com.   badrhussain@maktoob.com

الهاتف في الرياض / ٠٠٩٦٦٥٠٢٩٠٦٣٨٩

سوريا / ٠٠٩٦٣٢٢٣٥٦٥٧٤١

obeikandl.com